قصص
بوليسية
للأولاد

لغز الوادى الرهيب



الغلطة الكبيرة

علمنا أن المغامرين الثلاثة : « عامر » ، و « عارف » ، و « عالية » ، قد تمكّنوا من حلّ لغز الخريطة العجيبة فى مغامرتهم الأخيرة . وأنهم قد توصلوا فى النهاية إلى العثور على الكنز الثمين !

العقيد « ممدوح »

وما إن رجعوا إلى القاهرة من مرسى مطروح ، حتى كانت نتيجة الامتحان النهائى فى انتظارهم ، وهى النجاح الباهر بتفوّق ممتاز . وهى المكافأة الثمينة التى كانوا يستحقّونها .

كانوا يلتفّون حول والدهم ووالدتهم وهم يتجاذبون معهما أطراف الحديث . ويذكرون جدّهم الطّيب « عمران » بالخير الكثير .

والآن هم فى انتظار وصول « سمارة » من مرسى مطروح .

بعد أن أقنعوا والدهم باستدعائه لاستكمال دراسته معهم فى القاهرة ، وليعيش معهم تحت سقف واحد كأخ رابع .

وقد وافق الجدّ « عمران » على هذا الاقتراح عن طيب خاطر ، مكافأة « لسمارة » المخلص الأمين ، الذى كان سبباً فى إنقاذ حياته من بين يدى « مبروكة » وابنها « سلطان » !

وصل « سمارة » إلى المنزل ، وقد أصبح الآن ثرياً بعد أن حصل على نصيبه من الكنز . وكان يحمل فى يده قفصاً جميلاً من السلك المزخرف ، بداخله الببغاء الذكية فصيحة اللسان « زاهية » ، آثر أن يصطحبها معه إلى القاهرة ، كهدية لطيفة منه إلى عائلته الجديدة .

وما إن رأته « عالية » وهو يمسك بالقفص الجميل فى يده ، حتى بادرته بالسؤال : وأين معزتك « ظريفة » يا « سمارة » ؟ .

فضحك وأجابها : تعذّر اصطحابها معى فى القطار ، فوهبتها إلى أحد الفقراء ليعتنى بها ، بعد أن شبّت ونمت وبرأت ساقها .

فرح المغامرون الثلاثة برؤية « زاهيه » . أما القط الأسود « مرجان » فكان له معها شأن آخر ! . إذ كشّر لها عن أنيابه ، وماء فى وجهها ، فهو قد شعر بغريزته أنها ستكون منافساً قوياً له فى تدليل العائلة له .

ولم يكن هناك حديث للمغامرين الثلاثة إلاّ عن رحلتهم المقبلة إلى ساحل البحر الأحمر ، خلال إجازة نصف السنة الدراسية التى كانت ستبدأ بعد أيام معدودات .

فقد اقترح خالهم « العقيد ممدوح » أن يصطحبهم معه إلى هذه البقعة الجميلة من أرض مصر ، ليروحوا عن أنفسهم من عناء الدراسة . وقد وافق والدهم على هذا الاقتراح ، ولكنه اشترط ألاّ يزجّوا بأنفسهم – كعادتهم – فى مغامرات جديدة ، وكفاهم ما حدث فى مرسى مطروح . أما والدتهم فقد اعترضت على هذه الرحلة معارضة شديدة . فهى تعلم أن أولادها الثلاثة يتخذون من أخيها مثلاً أعلى ، يحتذون به فى المغامرة والمخاطرة ، وهى الصفات التى كانت تحتمها عليه طبيعة عمله ومهنته فالعقيد « ممدوح » هو قائد سلاح السواحل فى محافظة البحر الأحمر ، ومركز قيادته فى ميناء « الغردقة » ، وهى إحدى المراكز الهامة لاستخراج البترول فى منطقة الخليج . وله فى هذه المدينة منزل جميل بالقرب من شاطئ البحر .

واشتهر العقيد « ممدوح » بين إخوانه فى سلاح السواحل بمغامراته المثيرة فى تعقّب المهرّبين والمجرمين فى هذه المنطقة.

ويحدّ هـذه المنطقة من الشرق ، البحر الأحمر وخليج

السويس . أما من الغرب فتحدّها الصحراء الشرقية ، التى تشتهر بأوديتها ومسالكها ، حتى تصل وادى النيل . وتمتد فيها سلسلة الجبال والتلال الصخرية التى تبدأ من مدينة السويس ، حتى تصل إلى إثيوبيا . وهى السلسلة الصخرية الوحيدة فى مصر كما أنها تتميز بالسيول المدمرة التى تجرف أمامها كتل الصخور الملساء ، تسدّ بها الممرّات الجبلية ، حتى تصل إلى الطريق الساحلى الجميل والوحيد الذى يصل شمال مصر بجنوبها على شاطئ البحر الأحمر ، فتقطعه وتجعله غير صالح للعبور !

وتشتهر هذه الجبال بكهوفها العجيبة التى نحتتها المياه المتدفقة على مرّ الملايين من السنين عبر التاريخ ، ومنذ أن حدث الانشقاق فى القشرة الأرضية فى هذه المنطقة من إفريقيا ، هبطت الأرض وتكوّن البحر الأحمر ، وارتفعت على جانبيه سلسلة الجبال الصخرية العالية !

* * *

وصل العقيد « ممدوح » فاستقبلوه بالترحاب والتهليل وجلسوا يتشاورون فيما بينهم فيما يجب عمله بشأن الرحلة فأخبرهم العقيد « ممدوح » أنهم سيبدءون رحلتهم بعد يومين ، أى فى أول يوم من بدء إجازة نصف السنة . وسيكون السفر

بطائرة خاصة صغيرة ، تملكها شركة « شل » للبترول بالغردقة . وذلك لأن الطريق بالسيارة مرهق طويل ، فضلاً عن أن السيول قد قطعت بعض أجزاء الطريق البرىّ الساحلىّ وأضاف أن الطائرة ستصل إلى مطار القاهرة الدولى من الغردقة فى الثامنة مساء ، لتقلهم إلى الغردقة فى الحادية عشر ، فيصلونها قبل الفجر !

كان الفرح يغمر الأربعة الصغار . فلا شك أن الرحلة مثيرة غير عادية . فالسفر بطائرة خاصة ستقطع بهم أجواء مصر فى بهيم الليل ، وإلى مكان جديد سمعوا عنه الكثير ولكنهم لم يروه ! . فانهالت الأسئلة على الخال « ممدوح » . سألوه عن الشّعاب المرجانية الجميلة التى تشبه الحدائق الملوّنة بأشجارها وأزهارها . وعن جزيرة « شدوان » الباسلة التى قاومت الغزو الإسرائيلى ، وفنارها الذى يحذّر السفن من الجزر الصخرية ، والشعاب المرجانية التى تقع على مدخل خليج السويس . وعن استخراج البترول من الأرض ومن عرض البحر الأحمر وخليج السويس ، وعن الصيد تحت الماء بالحربة . وعن « عروس البحر » ، ذلك الحيوان البحرى الذى يشبه المرأة الجميلة فى تكوينها ، وعن المميزات التى ينفرد البحر الأحمر

بها دوناً عن باقى بحار العالم أجمع ، وعن متحف الأحياء
المائية بالغردقة . وهكذا توالت الأسئلة حتى كان خالهم « ممدوح »
لا يجد الوقت الكافى للردّ على استفساراتهم المتلاحقة !..

سألته « **عالية** » : هل يمكننى أن أصيد سمكة « قرش »
صغيرة لأضعها فى « فسقية » الحديقة ؟ . . وسأسمّيها « الفاتك
المفترس » ! فأجابها وهو يضحك : هذا مستحيل ! فالقرش
لا يعيش إلاّ فى المياه الفسيحة الدافئة شديدة الملوحة ، ذات
المرعى الخصيب بالسمك . فهو لا يتوقف عن الحركة والأكل
ليلاً أو نهاراً . وهو إذا توقّف عن الحركة غرق ! لذلك فهو
لا يعرف النوم . . هكذا خلقه الله . .

فسألته « **عالية** » : وكيف يغرق القرش ؟

فأجابها : لأن ليس له كيس هوائى كبقية الأسماك يطفو
به فى الماء ! فلا بدّ له من الحركة المستمرة والأهم من ذلك
ليس للقرش خياشيم يتنفس منها !

ولما كان « عامر » قد شرع أخيراً فى دراسة علم الحيوان والطير
والحشرات والأسماك ، فقد أخذ يتابع حديث خاله باهتمام
بالغ ، وسأله : إذن كيف يتنفّس القرش ؟ فأجابه : إن القرش
و « المانتا » البحرية الهائلة ذات السوط اللاسع السّام هما

المخلوقان الوحيدان اللذان لم يطرأ على تكوينهما تطوير يذكر
منذ بدء الخليقة حتى الآن !. فلحمهما عضلات ، وعظامهما
غضاريف . وهذا هو سبب قوّتهما الخارقة ! والقرش يتنفس
من خلال خمس فتحات على كل جانب من رأسه ، يدخل
منها الماء فى أثناء اندفاعه السريع ، حيث يمرّ فى جهازه الداخلى ،
فيمص منه الأوكسيجين اللازم لحياته . فهو إذا توقف عن
العوم ، توقّف الماء عن الاندفاع داخل الفتحات ، وتوقف
عنه الأوكسيجين !! فيموت !! فالقرش هو المخلوق المسكين
الوحيد الذى لا ينام ، ولا يتوقّف عن الحركة والأكل لحظة
واحدة - سواء أكل سمكاً أو خشباً أو صفيحاً إلخ - .

وكان « سمارة » يلزم الصمت فى أثناء الحديث الطويل ،
فهو يعلم الكثير عن الأسماك بحكم إقامته الدائمة على شاطئ
مطروح . ولكنه سأل العقيد « ممدوح » أخيراً : هل يسمح له
باصطحاب الببغاء « زاهية » معهم فى الطائرة ؟ فأجابه
بالإيجاب ، على ألاّ تغادر قفصها ! أما القط « مرجان »
فلا مكان له فى الطائرة ، وهو ما سبّب الحزن العميق « لعارف » .

وكانت « زاهية » تتبع الحديث وكأنها تشاركهم فيه ،
وهى تعوّدت على الانطلاق فى المنزل بحريّة ، تطير حتى تقف



سأل « سمارة » العقيد « ممدوح » هل يسمح له باصطحاب الببغاء « زاهية » معهم فى الطائرة ؟

على كتف « سمارة » تارة ، أو « عالية » تارة أخرى ، تداعبها بمنقارها المقوّس فى أذنها ، أو فى شعرها المسترسل . وكانت دائمة الثرثرة تكرّر كل ما يطرق سمعها من أصوات وكلمات .

* * *

وفى صبيحة يوم السفر ، انهمكت العائلة كلّها فى ترتيب ما يلزم الرحلة . فشرعت الأم فى تجهيز الطعام الخفيف . فملأت سلّة كبيرة بالسندويتشات المختلفة ، والبسكويت ، والشيكولاتة ، و « كيكة » كبيرة محشوة بالزبيب .

أما الصغار الأربعة فقد تزوّد كل منهم بملابسه الخاصة بالرحلات ، ووضعها فى حقيبته ، و « ترموس » للمياه . واهتم « عامر » بصفة خاصّة بمراجعة بعض الأدوات التى لا غنى له عنها فى رحلاته الكثيرة ، وهى : البوصلة ، والمنظار المعظَّم ، والمدية ، وفتاحة العلب ، والحبل ، والبطارية الكهربائية .

وكان العقيد « ممدوح » قد أشار عليهم بكل ما يلزم ، ونصحهم بصفة خاصة بالتزوّد بالبطاطين وبكليم ، فالجو بارد ليلاً على شاطئ البحر ، أو فى الصحراء ، فى مثل هذا الوقت من العام ، وهو ليس لديه منها ما يكفى الأربعة .

أما « سمارة » فكان أهمّ ما يشغل باله ، هو الحصول على

كمية كافية من بذور زهرة « عبّاد الشمس » الصفراء الجميلة التى تواجه الشمس مع شروقها وغروبها وتدور معها .

حان وقت الوداع عندما وصل العقيد « ممدوح » بسيارته ليتجه بهم إلى المطار . وكان الوالدان يلحّان على « ممدوح » فى ألاّ يشرك الصغار معه فى مغامراته المعهودة . فوعدهما بذلك . وقال لهما لا داعى لقلقهما ، فالمكان هناك هادئ منعزل ، ولا مجال فيه للمغامرة والمخاطرة . وأنه سيكون مشغولاً عنهم فى عملية خاصة ، سوف تملأ عليه كل وقته ! ولما سأله « عامر » عن هذه العملية الخاصة أجابه : هى عملية سريّة خطيرة ، سأخبركم بتفاصيلها بعد إنجازها !

تحرّكت بهم السيارة لتقلهم إلى مطار القاهرة الدولى ، وقد اكتظّت بما حملت من حقائب وسلال ومتاع . وكانت « زاهية » تصيح بأعلى صوتها ، مقلّدة صفير القطار ، كأنما تحتج على سجنها فى القفص الجميل !

كان الوالدان يشعران بالقلق المتزايد ، وإن كان « ممدوح » قد طمأنهما على هدوء المكان وبُعده عن أية إثارة ، ووعدهما بالبُعد عن كل عمل قد يحمل معه طابع المخاطرة .

ولكن لو كان الوالدان يعلمان ما يخبئه القدر للأربعة

الصغار من مغامرات قلّ أن يجود الزمن بمثلها . لما كانا فكّرا فى السماح لهم بمغادرة المنزل ! .

كانت الساعة العاشرة والنصف مساء عندما وصلت بهم السيارة إلى المطار ، وانتقل الجميع إلى الداخل ، حيث وضعت الحقائب فى سيارة خاصة لتنقلها معهم إلى الطائرة الخاصة الصغيرة . وكان المطار كخليّة النحل ، يموج بالحركة ، ويهتز من أزيز الطائرات ، منها طائرة عملاقة من طراز « جامبو » ، وقد قبعت بجوارها عن قرب طائرتان صغيرتان ذات طراز واحد وهما يكادان يختفيان فى ظل الطائرة الجبارة !

أعطى العقيد « ممدوح » تعليماته إلى سائق السيارة بأن يتوجه بالأربعة الصغار إلى الطائرة ، وذلك إلى أن ينهى إجراءات سفر الطائرة ، وبعض المهام العاجلة الخاصة بعمله ، وأن ينتظروه حتى يصل إليهم .

وصل السائق بسيارته أمام طائرة من الطائرتين الصغيرتين ، وكانت مروحتاها تدوران استعداداً للقيام . وصعد الأربعة السلّم ، تتقدمهم « عالية » ، ويتذيلهم « سمارة » وهو يحتضن قفصه الثمين ! وكان داخل الطائرة مظلماً ، ولم يكن فى وسع أحدهم أن يعثر على مفتاح الإضاءة ، فوضعوا حقائبهم وبطاطينهم

فى المؤخرة .

أما « زاهية » فأخذت تصيح استنكاراً لوضعها مع العفش .
فأخذ « سمارة » فى تهدئتها بإعطائها القليل من بذور عباد الشمس ، فصمتت وهى كارهة !

وكان مما أثار فضولهم ودهشتهم وجود صندوق خشبى كبير يتوسّط فراغ الطائرة . ترى أهو فارغ أم ملآن ؟ ربما كان يخص « ممدوح » وسوف يصحبه معه حيث يعمل ! فقال « عامر » : إن هذا الصندوق يسدّ الطريق إلى المقاعد ، فلنذهب الآن إلى المؤخرة . ونفترش الأرض على البطاطين . إلى أن يصل خالنا « ممدوح » لنسأله أن يزيح هذا الصندوق .

وما كادوا يجلسون فى المكان الضيّق وهم شبه ملتصقين . حتى أخذت الحوادث تتوالى بسرعة البرق .

فقد سمعوا فجأة صوت أقدام تصعد سلّم الطائرة على عجل . ورجل يدخل فجأة ثم يرتمى على مقعد القيادة . ثم تبعه رجل آخر جلس إلى جواره وهو يلهث ! فتجمّد المغامرون فى أماكنهم بدون حراك .. ما هذا الذى يحدث ؟؟ إنهم لا يرون شيئاً فى الظلام الدامس !. أيكون أحد الرجلين هو خالهم « ممدوح » ؟ ومن يكون الرجل الآخر .. أهو قائد

الطائرة ؟ ولماذا كل هذه العجلة ؟ ولماذا لم يحدّثهم خالهم ؟

أصابهم الذهول ، وانعقد لسانهم وهم متجمعون فى المؤخرة . فقد بدأت الطائرة فى التحرك ، وما لبثت أن حلّقت فى الهواء بعد قليل ، وكان أزيزها يصمّ آذانهم . كانوا يقبعون صامتين ، يختبئون وراء الصندوق الخشبى الكبير الذى كان يتوسط الطائرة .

همست « عالية » تقول لهم : أليس من العجيب أن خالنا لم يهتّم حتى بوجودنا معه فى الطائرة ؟ أو يحدثنا ليطمئن علينا !
وما كادت تتم جملتها حتى رأوا شبح أحد الرجلين وهو يقف ، ويدير زرًّا كهربائياً ليسطع الضوء فى كابينة القيادة . على حين ظلّ باقى الطائرة على إظلامه ! فأخذ « عامر » يتطلّع ببصره من وراء الصندوق تجاه الكابينة ، ثم قال بهدوء : كلاهما غريب عنّا !! وخالنا « ممدوح » ليس فى الطائرة !!..
فقالت « عالية » وهى بادية الاضطراب : ماذا تعنى ؟ أليست هذه طائرتنا ؟

وأخيراً نطق « عارف » وهو واجم ساهم : يا إلهى ! لقد ارتكبنا خطأً فاحشاً .. إنها غلطة لا تغتفر .. لقد التبس الأمر على سائق السيارة وأركبنا فى الطائرة الثانية التى تجاور طائرتنا !!..

الوادى الرهيب

التصقت « عالية » بأخيها « عامر » كأنما تحتمى بـه ، وقالت والخوف بادٍ على وجهها الشـاحب : ومـاذا سنصنع الآن إزاء هذا الخطأ ؟!

هـذا صحيح . . مـاذا يمكنهم أن يفعلوه ؟.. لا شىء البتّة ! فليس طبيعيًّا أن يجد المرء نفسه بغتة معلّقاً فى الهواء ، تكتنفه الظلمات ، وفى طائرة أخطأها ، ولا يعرف اتجاهها . وبصحبة مجهولين لم يرهم فى حياته من قبل !

عامر

كان الأربعة لا يرون إلا ظهر الرجلين ، ومؤخرة رأسيهما ، وصورة جانبيّة لوجهيهما عندما يتحدثان . ولكن ما رأوه كان كافياً لأن يشعرهم بالنفور نحوهما !

قال « **عارف** » هامساً : ليس فى مقدورنا أن نفعل شيئاً ! إننا الآن فى ورطة ثقيلة . ولا شك أن الرجلين سوف يجنّ

جنونهما عندما يكتشفان وجودنا ! فأجابته « عالية » : ربما قذفا بنا من الطائرة ! فما العمل وليس لدينا مظلّات النجاة ! !

لم يتمالك الجميع أنفسهم من الضحك . بالرغم مما هم فيه من مأزق لا مخرج لهم منه . فليست هذه أول مرّة — ولن تكون آخرها — يجدون أنفسهم فى مثل هذا الموقف العجيب . كانوا يطمئنون أنفسهم بأنها ما هى إلا مغامرة صغيرة عابرة ، سوف يجتازونها بأمن وسلام ، كسابق عهدهم بالمغامرات !

وكان « عامر » يتدارس الموقف الصعب ، إلى أن قال : نحن الآن نختبئ فى مكان أمين ، اللّهم إلاّ إذا خطر لأحد الرجلين أن يأتى صوبنا . وأملنا الوحيد فى النجاة هو فى أن يصل الرجلان إلى نهاية رحلتهما ، ويغادران الطائرة دون أن يكتشفانا . وعندئذ يمكننا أن نتسلّل من الطائرة ، لنذهب فى طلب النجدة والمساعدة !

كم هو جميل هذا الكلام !.. ولكنه للأسف كلام يسهل قوله . . ويصعب تنفيذه !

قالت « **عالية** » والدموع تكاد تطفر من عينيها : كنت أود أن أمكث مع خالى « ممدوح » . . وأصيد قرشاً من الغردقة !.. إنى أفكّر الآن فيما هو فيه من همّ وغمّ بسببنا ! ترى ماذا يفعل

الآن ؟ فأجابها « عارف » : لا بدّ أنه قلب المطار رأساً على عقب فى البحث عنا ، وأبلغ حرس المطار ، كما أبلغ والدينا باختفائنا المفاجئ ، وهما لن يصدّقا ذلك ، بل سيعتقدان أننا أقدمنا على مغامرة حديثة . . ولن يثقا فينا بعد ذلك .

* * *

كانت الطائرة تخترق أجواز الفضاء فى سكون الليل الدامس . ولم يكن لدى المغامرين أية فكرة عن اتجاه الطائرة . أهى تتّجه شمالاً أم جنوباً ، شرقاً أم غرباً ؟؟... وماذا يهمّ ذلك وهم لا يرون الأرض تحتهم فى الظلام الحالك !

وفجأة تذكّر « عامر » بوصلته ! وبعد أن نظر فيها أخبرهم أنهم يتجهون نحو الجنوب الشرقى ! أما إلى أين فهو فى علم الغيب . . وفى علم الرجلين الغامضين .

وأخيراً رأوا ألاّ فائدة تُرجى من التفكير والقلق والانتظار المملّ ، فقرروا النوم ، وليكن ما يكون . فقد ابتدأت « عالية » فى التثاؤب !

نام الجميع فيما عدا « عامر » الذى ظلّ متيقظاً ، احتياطاً للطوارئ والمفاجآت !! حتى « زاهية » . . فقد وضعت رأسها تحت جناحها ، وراحت فى سبات عميق : إذ ما فائدة اليقظة

وهم سوف يفيقون حتماً عندما تحطّ الطائرة على الأرض !

أخذ « عامر » يعمل فكره فى هدوء ، ولكنه اعتقد أن تفكيره قد شطّ به بعيداً عن حدّ المنطق والمعقول : ألا تكون هناك علاقة بين هذين الرجلين وبين خاله « ممدوح » ؟ . ألم يذكر لهم « ممدوح » أنه سيكون مشغولاً عنهم بعملية سرّية خاصة ؟ ولكن ما علاقة هذين الغريبين بهذه العملية السرّية بالذّات ؟ إنه لا يعتقد أن هناك علاقة ، بل هى الصدفة المحضة التى جمعتهم فى طائرة واحدة مع هذين الرجلين المشبوهين !! .

وبينما هو فى تهيّؤاته وتخيلاته ، إذا به يفيق منها على الطائرة وهى تدور فى حركات بهلوانية ، وبضغط شديد على طبلة أذنيه ، إيذاناً بأن الطائرة فى طريقها لتحطّ على الأرض اليابسة . وكان « عامر » يحدّث نفسه قائلاً : والآن سنعرف أين نحن . . ويجب علينا أن نستعدّ لهروب سريع . عندما تحين الفرصة .

بدأ الفجر يبزغ عندما صدمت عجلات الطائرة الأرض صدمة قوية أيقظتهم فجأة. وأخذ الجميع يتساءلون فيما بينهم : أين نحن الآن يا ترى ؟ وعندما ساد السكون الرهيب جوّ الطائرة بعد أن توقفت محركاتها ، ظهرت علامات السعادة على وجوههم ، برغم شعورهم بالخطر الداهم المحدق بهم . .

لقد وصلوا . . . هذا صحيح . . . ولكن أين ؟ كان الفجر على وشك البزوغ ، دخل ضوؤه الضعيف من نافذة الطائرة .

وقف الرجلان استعداداً لمغادرة الطائرة . وأخذ أحدهما يحدث الآخر قائلا : كان هبوطك بالطائرة رائعاً يا ريس « مجاهد » ! فأجابه هذا المدعو الريس « مجاهد » : لقد تعودت على القيام والهبوط من هذا المكان يا « معروف » . هلمّ بنا نذهب إلى الكوخ لتحضير طعامنا ، فليس لدينا من الوقت ما نضيّعه !

كانت سعادة الأربعة الصغار غامرة عندما غادر الريّس « مجاهد » و « معروف » الطائرة دون أن يلحظا وجودهم ! ربما أمكنهم الآن الفرار وطلب النجدة ! أو على الأقلّ إرسال كلمة مطمئنة إلى والديهم . . وإلى خالهم « ممدوح » ! . . .

قال « عارف » : لننظر الآن من النافذة لنرى فى أى مطار نحن ! ! .. وربما شاهدنا ميكانيكياً أو عاملاً لنسأله أن يوصلنا بأحد المسئولين ! . .

تكالب الأربعة على النوافذ وتطلعوا منها إلى ما حولهم . ولكن يا لها من صدمة رهيبة أصابتهم مما رأوا ! لم يكن هذا المكان مطاراً ، بل شريطاً ضيّقاً من الأرض ، تنمو فيه بعض

الطائرة فى طريقها لتحط على الأرض اليابسة

الحشائش والنجيل ! كان وادياً ضيّقاً تحوطه التلال العالية ، والجبال الصخريّة الشاهقة من كل مكان !

انزعج « عامر » مما رأى ، وصاح قائلاً : يا إلهى ! أين نحن ؟ ياله من مكان مخيف !.. فطمأنه « سمارة » : هذا وادٍ جميل .. ولكن عيبه أنه مقفر موحش .

فقال « عامر » : إنه كالصحراء التى يدرّبون فيها جنود الصّاعقة ! فسألته « عالية » : ماذا تعنى ؟ فأجابها : لقد أسقطنا القدر هنا .. فعلينا أن نجد ماءنا وطعامنا ومأوانا .. وأن نشقّ طريقنا إلى برّ النجاة !! تماماً كما يفعل جنود الصاعقة !.. فتساءلت « عالية » وهى مذعورة : أتعنى أننا الآن كجنود الصاعقة ؟.. فأجابها : تماماً ! والفرق بيننا وبينهم أننا لسنا مستعدّين لهذه المغامرة !!...

قال « **عارف** » : وكيف لنا أن نعثر هنا على النجدة ؟ وقالت « عالية » وهى حائرة : وماذا سنفعله الآن ؟ هل سنظلّ فى الطائرة ؟

فقال « عامر » فى هدوء : لا أعرف ما تفكّرون فيه !.. ولكنى أنا شخصياً لا أميل إلى هذين الرجلين ، ولا إلى الطريقة التى غادرا بها مطار القاهرة . ولا أشعر بالميل إلى هذا الوادى

المهجور !.. فقال له « عارف » : ومع كل هذا يحسن بنا أن نغادر الطائرة لنستشفّ ما حولنا ، لعلّنا نصادف بعض الفلاحين .

وأخيراً قال « سمارة » : إنى أعجب لأمر هذين الرجلين ! لا أصدّق أنهما جاءا إلى هذا المكان لغرض شريف ! والآن يجدر بنا أن نخرج حالاً من الطائرة قبل فوات الأوان !.. فأجابته « عالية » : هذا كلام سليم ! يجب الآن أن نعثر على من يساعدنا . ويمكننا أن نبلّغ خالنا « ممدوح » بما حدث عندما نعود إلى القاهرة !

نظروا من النوافذ قبل مغادرة الطائرة . ولكن آثار الرجلين كانت قد اختفت تماماً ، وكأنهما دخان تبخّر فى الهواء !

قال « **عامر** » : يجب الإسراع ! ولكن ماذا سنصنع بأمتعتنا ؟ .. وبالببغاء « زاهية » !!..

اقترح « **عارف** » ألا يتركوا فى الطائرة أى أثر ينمّ عن وجودهم ، وإلاّ اكتشف الرجلان أمرهم ! ثم غادروا الطائرة على عجل وهم يحملون أمتعتهم ، وكان « سمارة » يسير فى مؤخرة القافلة الصغيرة وهو يحمل حقيبته وبطانيته فى يد ، و « زاهية » فى قفصها فى اليد الأخرى !

وفجأة صاحت « **عالية** » وهى تشير بأصبعها إلى مكان

بعيد : انظروا .. ! انظروا إلى هذا العمود المرتفع من الدخان !
فقال « عامر » : هذه نار أوقدها الرجلان ليطهيا طعامهما ،
ومن المستحسن أن نتفادى هذا الاتجاه ! ولنأخذ هذا الطريق ..
فنظر إليه « عارف » فى سخرية وهو يقول : أتسمّى هذا
طريقاً !! ..

كان الطابور يسير فى الاتجاه المضاد « لمجاهد » و « معروف »
بمحاذاة بعض الصخور الكبيرة الملساء ، إلى أن وصلوا إلى
جدول أشبه بالقناة الصغيرة ، تجرى فيه المياه الصافية .

فقالت « **عالية** » عند رؤيتها لهذا الجدول : من الغريب
أنى لا أشعر بالجوع ، ولكنى أشعر الآن بالعطش !

تحدث إليهم « عامر » وقال : يجب أن نعثر على مكان
مناسب لنختبئ فيه مع أمتعتنا ، بعيداً عن أعين « مجاهد »
و « معروف » ولكن المشكلة فى أين نذهب ؟.. وهنا اقترح
عليه « سمارة » وهو يشير بعيداً : سنتقدم إلى الأمام فى هذا
الاتجاه . ونتسلق هذا التلّ الذى يشرف على الوادى لنستطلع
منه مكان الطائرة ، لأنها لو غادرت الوادى لبقينا فيه إلى
الأبد . وهناك بعض الأشجار يمكننا أن نختبئ فيها .

ارتقوا التلّ حتى وصلوا إلى حيث ترتفع بعض الأشجار

المتناثرة . ولكنهم وجدوا أن الطائرة لا تظهر من هذا الموقع !
ولكن « عامر » تسلق شجرة عالية ضخمة فى خفة القرد ،
حتى أمكنه مشاهدة الطائرة وهى تربض فى أسفل الوادى .

وبعد أن هبط من فوق الشجرة ، أخبرهم أنه شاهد أيضاً
ما يشبه الكوخ المهدّم فى موقع قريب . ولما وصلوا إليه وجدوه
إسطبلاً مهدّماً خاوياً مهجوراً ! ففرحوا لهذا الكشف ، وقال
عارف إنه يمكنهم أن يضعوا حاجاتهم فى هذا المكان ، فهو على
الأقلّ يحمل سقفاً سوف يحميهم من البرد والريح والحرّ .

وقالت « **عالية** » : إن المكان قذر ورائحته لا تطاق ،
ولكن يمكننا أن ننظّفه ، وأن نبسط الكليم لننام عليه . فألقوا
بحقائبهم فى ركن من الأركان ، وبجانبها وضعوا « زاهية »
فى قفصها . وما كادوا يفعلون ذلك حتى صدر عنها صوت عالٍ
وهى تردّد : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة !.. علامة
على استنكارها واحتجاجها .

فقال « **عامر** » وهو يضحك : هل تظنّون من الصواب
أن نخرج « زاهية » من سجنها ؟ فأجابه « سمارة » وهو ينظر إلى
« زاهية » نظرة عتاب : نعم ، ستظل على كتفى ساكنة هادئة .

وبعد سكون قصير قال « **عارف** » وكان يجلس على

حقيبته : والآن . . ما هى خططنا ؟ هل سنكتشف المنطقة فى طلب النجدة ، أم سنراقب الرجلين لنعرف ما الذى أتى بهما هنا ، أم سنمكث هنا ونختبئ لا نفعل شيئاً ! ! . .

فأجابه « عامر » : أعتقد أنه من الأفضل اكتشاف المنطقة الآن ، ربما وجدنا من ينقذنا من ورطتنا ! فلا بدّ لنا من الرجوع فوراً إلى منزلنا ، وبأسرع ما يمكن ! وقالت « عالية » : إن هذا الوادى جميل ، ولكنه غامض جداً ، فلا حسَّ فيه لمخلوق ! وقال « سمارة » : نحن لم نر إلاّ جزءاً بسيطاً من الوادى . . ولكن من يعلم ربما كانت هناك قرية وراء هذا التلّ !.. أليست هذه الجبال ضخمة رائعة ! فقال « عامر » : نعم . فهى تحيط بالوادى كالحلقة ، ولكن أين المخرج ؟ إننا تعلّمنا أن سلاسل الجبال بها ممرّات تقود إلى السهول والأودية ! إن الغموض يكتنف هذا الوادى ، وإنى لعلى يقين من أننا على أبواب مغامرة رهيبة ! ! . .

فقاطعه « عارف » : إنك تهذى ! إننا سوف نجد مزرعة قريبة . . وسنعثر على النجدة . . وسنجد طريقاً . . وسنذهب إلى أقرب مدينة بالسيارة . . ومن هناك إلى المطار . وأراهنك على أننا سنكون بمنزلنا غداً ! ! . .

فأجابه « عامر » : أراهنك على أن شيئاً من هذا لن يحدث ! ! . .

ظهر الاضطراب والخوف على وجه « عالية » عند سماعها قول « عامر » فهى تعرف أخيها حقّ المعرفة ، فهو إن قال شيئاً عناه ، وليس من عادته أن يهذى كما اتهمه « عارف » ! وقالت « عالية » : ولكن ماذا عن طعامنا ؟ فلم يتبقّ منه إلاّ القليل مما حملناه معنا . سوف نموت جوعاً فليس فى هذا المكان ما نأكله ! ! . .

هذا موضوع لم يفكّر فيه أحد . . فالمغامرة شيء . . أما المغامرة مع الموت جوعاً فهى شيء آخر ! ! . .

* * *

خرج الأربعة من مكمنهم ، وأخذوا يتطلعون إلى الجبال الصخرية العالية ، وهى تطبق على الوادى لتجعل منه سجناً كبيراً . إن أحداً منهم لم ير مثل هذه الجبال من قبل ! . أما « عامر » فكان فى وادٍ آخر ! لقد رجعت به الذاكرة إلى ما ذكره خاله « ممدوح » عن سلسلة الجبال الصخرية الوحيدة فى القطر المصرى ، والتى تحفّ الصحراء الشرقية وتطلّ على خليج السويس والبحر الأحمر ، وتمتدّ موازية الساحل حتى تخترق

الحبشة !... وعن الأمطار والسيول التى تنحدر على قممها وسفوحها ، تنحت فيها الكهوف والممرات على مرّ الملايين من السنين ، وتجرف معها الصخور الملساء تسدّ الممرّات الجبلية والطرقات !!..

ألم ينظر فى بوصلته وهو فى الطائرة فوجد أنهم يتجهون جنوب شرق ؟ وهذا يعنى أنهم اتجهوا من مطار القاهرة ناحية البحر الأحمر !!!...

أيكونون الآن فى مكان ما وسط هذه السلسلة من الجبال ؟ ولكن أين ؟ وما هى أقرب مدينة ساحلية إليهم ؟ أهى رأس غارب ، أم الزعفرانة ، أم الغردقة .

كل هذا جائز ! ولكن لم لا يكونون فى الحبشة ! هذا جائز أيضاً ! أمّا ما يعرفه عن يقين فهو أنهم الآن فى منطقة جرداء ، جبلية ، قفرة ، موحشة ، منعزلة عن العمران . وكأنها خلقت فى عالم آخر ، تعوى فيها الرياح ، وتغرقها السيول الجارفة والأمطار فى مثل هذا الوقت من كل عام ! هكذا ذكر خاله .

ذكر لهم « عامر » ما يدور بخلده من احتمالات ، لكى يطمئنهم على حالهم ، وإن كان لا مجال للاطمئنان فى مثل هذا المكان ! وكان غرضه من ذلك أن يشعرهم بأنهم فى أرض

مصرية ، الأمر الذى سوف يدخل الطمأنينة على نفوسهم .

ثم قال : ولكن ما يدهشنى حقّاً هو لماذا يأتى هذان الرجلان إلى مثل هذا المكان ؟ وكما ترون لا يوجد هنا أى عنصر من مقوّمات الحياة ! . وزاد « عارف » على ذلك بقوله : ومع ذلك فهما يعلمان بوجود هذا الممرّ الضيق المُستوى ! تعوّدا الهبوط عليه بطائرتهما فى يسر وسهولة !

وبينما هم كذلك يتبادلون الرأى فى إيجاد مخرج لهم من هذه الأزمة المستعصية ، إذا « بعامر » يلمح سحلية صغيرة ، ذات ألوان برّاقة جميلة ، تقف بالقرب من قدمه . فأخذ يتفحّصها بتأمل وإعجاب ، فهى من النوع النادر ، وهو يعلم ذلك جيداً . فنسى « عامر » ما هم فيه من مأزق ، ومدّ يده بسرعة خاطفة وقبض على السحلية من عنقها . فهو يعلم أنه لو قبض عليها من ذيلها لتركته ينفصل فى يده ولاذت بالفرار ! كما هى عادة السحالى ! فطلب من « عالية » أن تناوله قليلاً من فتات البسكويت ، وأخذ يطعمها بيده ، والسحلية تلتهم الفتات بنهم وشراهة ! ثم أطلق سراحها بعد أن شبعت ، ولكنها ظلّت تلازم مكانها بجوار قدميه ترفض الرحيل ، وهى تنظر إليه بعينيها المستديرتين . وكان كلّما تنقّل من مكان إلى مكان ،

تبعته كظلّه ، وكأنها تطمع فى المزيد من البسكويت !

أخذت « عالية » تبتعد عن السحلية ما أمكن ، ثم قالت « لعامر » : أكانت تنقصنا هذه السحلية فى ورطتنا هذه ! فأجابها : إنها سحلية من نوع نادر ، وأنا سعيد برؤيتها !..

* * *

اتفقوا على استكشاف المنطقة ، على أن يجعلوا من الإسطبل محلاً لإقامتهم ، وطالما أن البوصلة مع « عامر » فلا خوف عليهم من التيه والضياع !

كانت الشمس تسطع على قمم الجبال وهى تغمر الوادى ، عندما لمحوا عمود الدخان المعهود يتصاعد فى الهواء . فقال لهم « عامر » مشيراً إليه : نحن هنا أحرار فيما نفعل ، إلاّ أن نذهب فى هذا الاتجاه ! هلّم بنا نسير فى هذا الدرب ، لعله يقودنا إلى العمران !!.. وسوف نترك أمتعتنا هنا فهى فى أمان .

قالت « عالية » وقد تذكّرت ما شاهدته فى أحد أفلام الهنود الحمر : وسوف نحفر علامات على جذوع الأشجار والصخور ، حتى نؤمن طريق عودتنا إلى مركز القيادة !

كانوا يتسلّقون الجبل فى خفة ورشاقة ، إلى أن وصلوا إلى مكان يكشف الوادى . وكانت الطائرة تبدو منه واضحة وهى

تبرق تحت أشعة الشمس ، كأنها قطعة من الفضة . فصوب « عامر » منظاره نحو الطائرة وقال لهم : انبطحوا أرضاً ، فإنى أرى أحد الرجلين يتجه صوب الطائرة . فانبطح الجميع أرضاً ، وتابع « عامر » حديثه : إنه الرئيس « مجاهد » يدخل الطائرة الآن . . هل سيطير تاركاً « معروف » وراءه ؟.. لا .. إنه يغادر الطائرة الآن . . إنه يحمل شيئاً بين يديه لا أتبيّنه . . هو يتجه الآن صوب عمود الدخان . . لقد اختفى الآن وراء الأشجار .

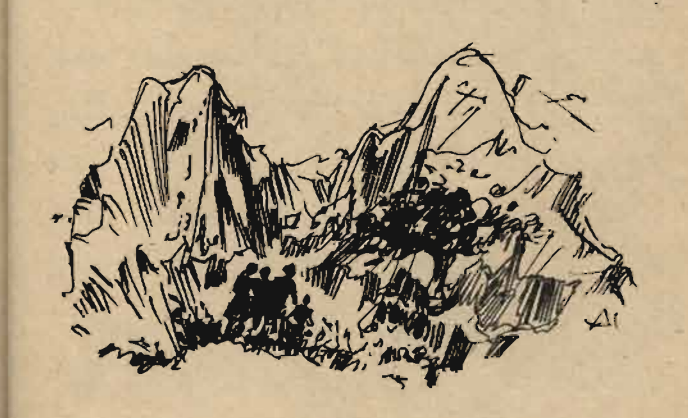
تابع الأربعة سيرهم باحتراس وهم يحاولون التستّر وراء الأشجار والصخور ، إذ طالما أنهم يكشفون الوادى من مكانهم ، فيحتمل كذلك أن يكشفهم « مجاهد » و « معروف » .

كان الأمل يراودهم فى العثور على أثر يدلّهم إلى طريق النجاة . ولكن هذا الأمل خبا ، فلا أثر هناك سوى الصخور وبعض الأعشاب والأشجار ! إلى أن قطع عليهم حبل السكوت صوت « سمارة » وهو يقول : أعتقد أنه لا يوجد مخلوق حى فى هذه المنطقة ، غيرنا والرجلين الغريبين ! فإنى لا أرى أثراً لدخان ، أو لحيوان ، أو حتى لكلب أليف !

جلس الأربعة فى ظل شجرة يحتمون بها من أشعة الشمس ، بعد أن اشتكت « عالية » من أنها تشعر بالجوع

وأخذوا يلتهمون ما تبقّى لهم من طعام ، ويفرغون آخر قطرة ماء بقيت لهم فى « الترموس » . وكانت « زاهية » ، التى ظلّت طوال الوقت لا تفارق كتف « سمارة » ، تنتقى الزبيب بمنقارها من قطعة « الكيك » التى يأكلها !

وبينما هم كذلك إذا « بعالية » ، وكانت تجاور « عامر » ، تقف فجأة وهى تبتعد عنه . فقد لمحت السحلية وهى تقبل بجرأة نحو « عامر » ، وتنظر إليه بعينيها المستديرتين ، وكأنها تسأله شيئاً ! لم تحاول الهرب وهو يلتقطها بين يديه ، ليطعمها بوجبتها الشهيّة المفضّلة .. فتات البسكويت .. لقد تبعته طول الطريق !



البحث عن الطعام



عالية

كانت « عالية » تستند بظهرها إلى الشجرة ، وهى تستريح من عناء السير الطويل . وكان الهدوء المخيف يسود أرجاء المكان .

تنبهت « عالية » فجأة ، وكأنها تستمع إلى صوت يأتى من الفضاء ، وقالت : ألا تسمعون شيئاً ؟ فأجابها « عارف » وهو يضحك : لا .. لأن آذاننا ليست كآذانك ! وماذا هنا حتى نسمعه !.. فقالت : إنى أسمع صوت خرير المياه ! فأرهف الجميع السمع ، إلى أن قال « سمارة » : إنى أسمع صوت المياه هذا صحيح ، ولكنه ليس صوت جدول أو غدير ! إنه أشدّ من ذلك ! هيّا بنا لعلّنا نكتشف عنه . ثم ساروا فى اتجاه الصوت الغريب ، إلى أن وصلوا إلى مرتفع صخرى يصعب تسلّقه . ولكن الصوت العجيب أصبح الآن

واضحاً ، مما دفع فيهم الحماس لارتقائه . وقال « عامر » : أعتقد أننا إذا التففنا حول هذه الصخرة العالية ، سنرى مصدر هذا الصوت الذى يصمّ هديره الآذان !

وصلوا إلى المكان المنشود . . حيث وقفوا مشدوهين مما شاهدوه ! إنهم لم يروا له مثيلاً فى حياتهم من قبل . . إلاّ فى الصور ، وفى الأفلام السينمائية ! لقد كان شلاّلاً . صحيح هو ليس كشلاّلات « نياجارا » فى أمريكا ، ولكنه شلاّل صغير متواضع . . تتدفّق مياهه فى قوة من أعلى الصخور ، حتى تستقرّ فى بؤرة عميقة مملوءة بالصخور الملساء المصقولة بفعل الميـاه . .

وكم كانت سعادة « عالية » بالغة ، وهى تخرج لسانها لتلعق به رذاذ المياه الصافية النقية الباردة وهى تغمر وجهها . لقد كانت تكفيها قطرة واحدة منها لتروى ظمأها . وأخذت تصيح بأعلى صوتها وهى تقول : إننى أشرب الرذاذ !! كم هو منعش لذيذ !

أما « زاهية » فقد طارت فجأة ، وأخذت تحوم حول المياه المتدفقة ، وهى تتلقّى رذاذها ، ثم تعود لتحطّ على كتف « سمارة » وتنفض ريشها الأخضر الزاهى لتغرق بالرذاذ وجهه

الأسمر !

* * *

كان طريقهم فى الرجوع واضحاً سالكاً ، وهم يقتفون أثر العلامات التى تركوها على الأشجار والصخور . وما إن وصلوا إلى الإسطبل ، حتى ضحكت « عالية » وقالت : كم هو جميل أن يعود الإنسان إلى بيته !

دخلوا الإسطبل فوجدوا أمتعتهم فى وضعها الأول كما كانت ، دلالة على أن مخبأهم لم يكتشف بعد ! .

قالت « عالية » ، وكانت تشرف على تدبير شئون الطعام . إن ما بقى لهم من زاد لا يعدو بقايا وفتات لا تكفيهم هذا المساء أما العطش فلا خوف عليهم منه ، فالجدول الصغير يجاورهم . ينهلون منه كفايتهم . فاقترح « عامر » أن يهبط إلى الوادى وحيداً ، ليستطلع ماذا يفعله الرجلان . فوافقوه على رأيه . وأضافت « عالية » . تقول : وإذا سنحت لك الفرصة يمكنك أن تبحث فى الطائرة عن بعض الطعام ، لربما وجدت منه شيئاً ! . وكانت « عالية » تودّ أن تصاحب أخيها فى مهمته الخطرة ، ولكنها كانت على يقين من أنه سيرفض تعريضها للخطر .

أسرع « عامر » فى الرحيل ، فقد كانت الشمس على وشك المغيب ، واقترب حلول الظلام .

رفضت « عالية » المبيت داخل الإسطبل ، بحجة أن رائحته لا تطاق ! فابتدأ « عارف » و « سمارة » فى تجهيز مكان للمبيت خارجه . فاختارا مكاناً مناسباً تحت شجرة وارفة ، تنبت تحتها بعض الأعشاب والحشائش ، وبسطوا عليه الكليم ، وأخرجوا البطاطين . أما الحقائب فكانت ستستعمل كوسادات !

ولما حلّ الظلام ، ابتدأت « عالية » فى القلق على « عامر » . لقد تأخّر فماذا حدث له يا ترى ؟ وكانت تروح وتجىء وهى حائرة قلقة ، تنظر فى الطريق المؤدى إلى الطائرة ، وفجأة رأت شبحه مقبلاً وهو يسرع فى خطاه . فنادت على « عارف » و « سمارة » ، حيث استقبله الثلاثة بما يليق به من حفاوة وترحاب ! وحتى « زاهية » كانت تصيح وتغنى ، و « سمارة » يحاول إخراسها ، لئلا يصل صوتها وصفيرها مع الريح إلى أسفل الوادى ! وقالت « عالية » : ابتدأنا نقلق عليك ، هل شاهدت « مجاهد » و « معروف » ؟ وماذا كانا يفعلان ؟

فنظر « عامر » إلى مكان المبيت وهو يتفحّصه وقال : يا لها من غرفة نوم وثيرة ومريحة !.. فكرّرت « عالية » سؤالها بإلحاح :

هل شاهدتهما يا « عامر » ؟ وماذا حدث ؟ وهل عثرت على طعام فى الطائرة ؟..

فأجابها « عامر » : لم أفعل الكثير .. فلم أجرؤ على التقدم إلى الطائرة لأنها تقف فى الخلاء ، وربما لمحنى « مجاهد » أو « معروف » وأنا فى طريقى إليها . ففكّرت فى استطلاع مخبأهما أولا ، فاتجهت إليهما ، يقودنى عمود الدخان ، وأنا أحتمى بالصخور والأشجار .. فقاطعه « عارف » فى لهفة : وهل رأيتهما ؟.. فاستمر « عامر » فى روايته : سمعت صوتهما أولاً .. وكانا يتحدثان بصوت عالٍ فى حرّية . فتسلقت شجرة ورأيتهما عن بعد وهما يفترشان الأرض أمام النار ! وكانا يتناقشان ويتدارسان ، والرئيس « مجاهد » يمسك فى يده بورقة .. ولما صوّبت منظارى إليها اتضح أنها أشبه بالخريطة !!.

وهنا قاطعه « عارف » لثانى مرة وهو يبدى الدهشة : خريطة ! وما فائدة الخريطة ! إنهما يعرفان هذه البقعة عن ظهر قلب .. وإلاّ لما تمكنّا من الهبوط فيها بطائرتهما ! فأجابه « عامر » : لا بدّ أن هناك سبباً وجيهاً أتى بهما هنا ! أمّا ما هو هذا السبب فهو فى علم الغيب ! لا بدّ أنهما يبحثان عن شىء .. أو عن شخص .. والخريطة تدلهما على ذلك ! فقد سمعت



وكانا يفترشان الأرض أمام النار يتناقشان ويتدارسان ، والرئيس « مجاهد » يمسك فى يده بورقة . . .

مجاهداً وهو يقول مشيراً بأصبعه إلى هذه الورقة : هذا الطريق بالذات . . . ومن هناك إلى هنا . وكان يبدو عليهما أنهما يخطّطان لبعثة استكشافية !. فقالت « عالية » بحماس شديد : يمكننا أن نقتفى أثرهما .. ونكشف عن سرّهما !..

أخذ « عامر » يفكّر فيما قالته « عالية » ، ولكن رجاحة عقله ، وبعد نظره ، وحسن تقديره للأمور ، جعلته يرفض اقتراحها ، وقال : لا داعى لتسلّق هذه الجبال وراءهما ، وهى مغامرة لا طائل تحتها . . والأفضل أن ندعهما يبدآن رحلتهما ، على حين نذهب نحن إلى الكوخ ، وإلى الطائرة أيضاً ، فقد نعثر هناك على ما يدلّنا على شخصيتيهما ، وعمّا يبحثان عنه !!.

فقالت « عالية » وهى تتثاءب : حسناً . . هذا هو عين العقل . . فلنفعل ذلك صباحاً . . أما الآن فقد حان وقت النوم .

نام الأربعة فى معسكرهم البدائىّ ، وهم يحلمون بما سوف يأتى به الغد من مغامرة . . قد تهون بجانبها ما خاضوه فى الماضى من مغامرات !

* * *

استغرق الجميع فى نوم عميق ما عدا « عامر » . . فقد ظلّ يعدّ النجوم . . ويستمع إلى نعيق البوم !

وكان يفكّر فى مخرج للمأزق الذى أوقعهم القدر فيه . . ولكنه لم يتوصل إلى حلّ معقول ! فلم يكن من السهل التخلصّ من مثل هذا المأزق الخطير الرهيب !

أخذت « زاهية » تقلّد البومة بصوت مرتفع . . مالها هى ومال المآزق ! ولكن « عامر » نهرها وأخرسها لئلا توقظ النيام . فسكتت على مضض . . ودسّت رأسها تحت جناحها واستغرقت فى النوم . . لا لأنها فى حاجة إلى النوم . . بل لأنها كانت تقلّد النائمين فقط !

* * *

استيقظ الجميع وأخذوا يتشاورون فى مشكلة الإفطار ! فقد نفد الطعام منهم . ولكن « سمارة » ، وكان بعيد النظر ، حلّ لهم هذا الإشكال ! فقد احتجز من نصيبه قالبا من الشيكولاتة لمثل هذا الظرف الطارئ . . اقتسموه فيما بينهم بالعدل والقسطاس . أما ببغاؤه اللطيفة فكان لا خوف عليها من الجوع . . . فقد كان فى حوزته من البذور ، ما يكفيها لشهور . .

وعندما كانوا يتداولون فيما يجب عمله للحصول على الطعام . إذا بهم يستمعون إلى صوت الرجلين وهما يقتربان . وكانت

الريح تحمل لهم صدى صوتهما الأجشّ . فبادروا بإزالة المعسكر فى سرعة خارقة ، وتولّى كل منهم حمل أمتعته إلى الإسطبل . كما حمل « سمارة » ببغاءه ، وأشار لها حاثًّا لها على الصمت ، وبألاّ تفتح منقارها ، لئلا تفضح مكانهم بصراخها ثم اختبئوا وهم ينظرون إلى الخارج من خلال شقّ فى الجدار .

وصل الرجلان . . ونظر « مجاهد » إلى حيث كانوا ينصبون معسكر النوم ، وقال « لمعروف » فى دهشة : هنا شىء غريب جداًّ ، فالحشائش تميل وتلتصق بالأرض فى هذه البقعة بالذات ! من صنع هذا ؟.. فقال « معروف » : ربما كانت آثار حيوان ؟ فأجابه « مجاهد » : حتى لو كان هذا الحيوان فيلاً لما ترك مثل هذا الأثر الضخم ! ولكننا مضطرون لترك هذا المكان فوراً ونتحرى هذا الأمر عند عودتنا . . فليس لدينا لآن وقت نضيّعه !

وبعد انتظار طويل تأكد الأربعة من رحيل « مجاهد » و « معروف » فتنفّسوا الصّعداء وغادروا مخبأهم إلى الخارج . ثم تسلّق « عامر » الشجرة الضخمة العالية ، وأخذ يتطلّع بمنظاره فى الاتجاه الذى سلكاه . وكان « عامر » يتفحصهما من فوق الشجرة وهو يقول : أراهما الآن بعيداً يقفان فى مكان

مكشوف . . إنهما يدرسان خريطة فى يدهما ويتجادلان . . يبدو عليهما أنهما ليسا متأكدين من وجهتهما . . هاهما الآن يستأنفان السير !.. إنهما يدوران حول صخرة سوداء كبيرة . . الآن فقط فقدت أثرهما تماماً ! لقد اختفيا !!.

نزل « عامر » من فوق الشجرة برشاقة الغزال ، وقال لهم : والآن هلّم بنا لنلقى نظرة خاطفة على الطائرة . . ولننتهز هذه الفرصة فغيابهما سيطول !

هبطوا إلى الوادى فى سرعة البرق ، حيث وجدوا الطائرة تقبـــع فى مكانها على الممرّ الضيق الصخرى القصـــير . دخلوها ولكنهم فوجئوا باختفاء الصندوق الخشبى الكبير الذى كان يسدّ بطن الطائرة . فتعجّبوا لاختفائه ، ولكنهم أدركوا أن الصندوق كان فارغاً ، وإلاّ لما تمكّن « مجاهد » و « معروف » من حمله وحدهما ! فبحثوا فى أرجاء الطائرة عبثاً عن طعام . فقالت « عالية » باضطراب ظاهر : والآن ما العمل ؟ هل سنموت جوعاً ! ولكن « عامر » طمأنها قائلاً : ما زال الكوخ أمامنا . . فقد شاهدتهما بجواره أمس يطهيان طعاماً .

توجّهوا إلى حيث رآهما « عامر » بجوار النار ، وكانت آثارها ما زالت باقية ! والكوخ مقام بجانبها على مسافة قصيرة . وكان

الكوخ مبنياً بالحجارة ، ويحتوى على حجرة واحدة . ولا بدّ أنه كان خرباً ، إذ ما زالت تظهر فيه آثار ترميم حديث ، وله باب خشبى متين ، ونافذة زجاجية واحدة ، مرتفعة صغيرة ضيّقة مستديرة ، لا تتّسع لمرور إنسان . . فنظر « عارف » إلى الباب وقال : لا بدّ أن يكون مقفلاً . . وأنهما أخذا مفتاحه معهما . ولكن ما يدهشنى هو ممّن يخافا ، ولا مخلوق معهما فى هذا الوادى المهجور ! أتظنون أنهما يعلمان بوجودنا ؟ وعلى كل حال ما دمنا هنا فلنلق نظرة إلى الداخل من خلال هذه الطاقة الزجاجية . فحمله « عامر » على كتفيه حتى وصل إلى مستوى الكوّة ، ولكن الظلام كان يشيع فى أركان الحجرة ، إذ كانت الطاقة الضيّقة هى مصدر الضوء الوحيد ، فلم ير شيئاً فى بادئ الأمر . ولكنه بعد أن تعوّد على الظلام قال : إنى أرى مرتبتين ، وكليماً ، ومائدة صغيرة وبعض الكراسى ، وموقد .

ولكنه ما لبث أن فغر فاه من الدهشة وصاح : . . . انظروا إلى هذا ! يا للمفاجأة !.. فنطق الجميع بصوت واحد : ماذا ! ماذا ترى ! فقال « عارف » وقد افترّ ثغره عن ابتسامة عريضة : إنى أرى حلماً . . أرى أكواماً من الطعام والمعلبات

المكدّسة على الأرفف . . يا له من منظر خلاّب ، يسيل له اللّعاب !. قال هذا وقفز من على كتفى « عامر » وهو يصيح : إنه مجمّع استهلاكى . . ولكنه للأسف مغلق . آه لو لم يأخذا مفتاحه معهما . . لكانت « عالية » تهيئ لنا الآن وليمة فاخرة !

ولكن كانت الكوّة الزجاجية ، وإن كان يسهل كسرها ، لا تتّسع حتى لمرور « عالية » بقدّها الدقيق النحيف . فاقترح « سمارة » فى ثورة من الحماسة أن يحطّموا الباب ، ولكن كان هذا مستحيلاً . إذ كان هذا الفعل سينمّ عن وجودهم . ولكنه من حنقه وغيظه ركل الباب ركلة شديدة بقدمه ، وكأنه يعاقب الباب الذى يقف أمامهم عقبة فى سبيل الحصول على الطعام الشهىّ . . فانفتح الباب ، لأنه لم يكن مغلقاً بالمفتاح . وسط دهشة الجميع وفرحهم وتهليلهم .

وهنا صاحت فيهم « عالية » ، وهى تشير بيدها إلى الداخل : والآن هيّا بنا إلى الوليمة اللذيذة !

الكهف المتكلم



كانت الأرفف المحمّلة بالطعام والمعلّبات والفواكه ، تبدو وكأنها تتراقص أمام أعينهم . فهجموا عليها وهم غير مصدّقين ، ليتأكدوا أنهم فى يقظة وليسوا فى حلم جميل. ولكن « عامر » صدّهم عنها قائلاً : مهلاً ! مهلاً ! سنأخذ حاجتنا من الصفوف الخلفية ونترك الأمامية للتمويه ، حتى لا يظهر أن أحداً قد سطا على المخزن . فقال « سمارة » : سنحصل على ما فيه كفايتنا ، ويجب الآن أن نواجه الحقيقة . . وهى أننا سوف نبقى هنا لفترة غير معروفة . . وأننا قد قُطعنا عن العالم ، وقد لا تصلنا النجدة – إذا وصلت – إلاّ بعد زمن طويل !

إنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة فى قرارة نفوسهم ، إلاّ أن إعلانها كان سبباً فى اضطرابهم . وكان أكثرهم اضطراباً هى

« عالية » ، التى قالت بصوت لا يكاد يسمع : أنت على حق يا « سمارة » . يجب أن نأخذ معنا أكثر ما يمكن أخذه ، وأن نحمله إلى مخبأ أمين .

وجدوا عدداً كبيراً من الزكائب الفارغة المهملة فى أحد الأركان . فملئوا منها « زكيبتين » بما لذ وطاب من علب البسكويت والشيكولاتة واللبن والسردين واللحوم والخضروات والفواكه ، وخاصة الأناناس الذى كانت تحبه « عالية » و « زاهية » ! ثم غادروا الكوخ على عجل بعد أن أحكموا إغلاقه ، وبعد أن بحثوا عن أوراق أو مستندات قد تفيدهم فى الكشف عن هويّة الرجلين ، أو عن مهمتهم ، ولكن بدون جدوى ! وكان « عامر » و « عالية » يحملان « زكيبة » فيما بينهما ، وهما يكادان ينوءان تحت حملها ، و « عارف » و « سمارة » الزكيبة الأخرى .

ولكن أين الصندوق الخشبي الكبير ، إنه ليس فى الكوخ ! قال « عامر » إنه يعجب لاختفائه ، وإنه يحسن بهم أن يبحثوا عنه ، فلا بد أن يكون فى مكان قريب . فوجدوه بعد بحث مضنٍ وسط خمسة صناديق كبيرة مماثلة ، وسط الحشائش العالية وهى مغطاة بغطاء كبير من المشمّع !

فصاح « عامر » : عجيب ! الصناديق كلّها فارغة ! من ذا الذى يأتى بصناديق فارغة إلى مثل هذا الوادى المهجور ! ؟ إلاّ إذا كان مجنوناً ! فقالت « عالية » وهى ترتعد : أتظن يا « عامر » أنهم مجانين ! .. وماذا سنفعل إذا كانوا حقًّا مجانين !

فأجابها « عارف » وهو يضحك : نبتعد عن طريقهم !

وما كادوا يصلون إلى الإسطبل بكنزهم الثمين ، حتى تسلّق « عامر » الشجرة – التى أطلقوا عليها « نقطة المراقبة » – ومسح الوادى بمنظاره ، فلم يجد أثراً للرجلين ! وكانوا يشعرون بالجوع والتعب ، ففتحوا من العلب ما اشتهته نفوسهم ، وكانت وليمة أنستهم ما هم فيه من همّ وتعب وجوع ! .. أما « زاهية » فقد اقتصرت وليمتها على الأناناس ، وهو طعامها المفضل ! وبعد أن انفضّت الوليمة ، قالت « عالية » : وماذا سنصنع بالعلب الفارغة ؟ وأين سنخفيها ؟ فنظر « سمارة » بعيداً وقال : إنى أرى هناك جحراً ، أغلب الظن أنه جحر أرانب ، سنلقى فيه بالفوارغ . ولكن الأهم من ذلك أين سنخفى متاعنا ؟ إذ لا بدّ أنّ الرجلين سيعاودان البحث عنّا غداً . . بعد أن تركنا آثارنا على الحشائش ! فصاح عليه « عامر » وكان لا يزال يرابط فى نقطة المراقبة : هنا ! فوق الشجرة !

ولما وافقوه على فكرته الصائبة على الفور ، فكّ الحبل الذى يلتفّ حول وسطه ، وأسقطه لهم . فأخذوا يحزمون به الحقائب واحدة وراء الأخرى ، وهو يرفعها إلى أعلى ، حيث يخفيها وسط الفروع ! واحتفظوا فقط بما يلزمهم للمبيت . أما كنز الطعام الثمين فأخفوه وسط مكان تنمو فيه الأعشاب الطويلة ، والشجيرات الكثيفة .

أما عن أنفسهم فليس أسهل عليهم من تسلّق الشجرة عند الضرورة ، والاحتماء بأوراقها وفروعها ! وبذلك اطمأنت قلوبهم ، فلا أثر يظهر الآن لأمتعة أو طعام أو إنسان ! وليبحث الرجلان عنهما كيفما شاءا !

وما إن أصبح عليهم الصباح ، حتى أخذوا يفكّرون جديًّا فى تغيير مكان إقامتهم . ولكن أين ؟ وهنا طرأت على رأس « عالية » فكرة نيّرة ، فقالت فجأة : الشلاّل !.. بجوار الشلال !.. فالمكان جميل .. والماء موجود .. وربما اكتشفنا هناك مخبأً خفيًّا ! فقرّروا أن يتركوا وراءهم الحقائب على الشجرة كما هى ، فهى ثقيلة ولا داعى لحملها فى المشوار الشاق الطويل ، والاقتصار على ما خفّ حمله من ضروريات ، وبعض الطعام ، على أن يرجع أحدهم لإحضار ما يحتاجونه

من طعام كلّما دعت إليه الحاجة !

وما كاد يلوح ضوء الفجر ، حتى أيقظهم « عامر » وبدءوا فى تناول الإفطار الذى جهزته لهم « عالية » . وما كادوا ينتهون منه ، وإلقاء مخلّفاته فى جحر الأرانب ، حتى لمحوا عمود الدخان المعهود يتصاعد فى الهواء . فأخبرهم « عامر » أنه لا بدّ لهم من الإسراع فى الرحيل قبل وصول « مجاهد » و « معروف » . فحملوا معهم متاعهم الضرورى ، وكان أثقله وأثمنه زكيبة الطعام .. و « زاهية » وهى تربض فوق كتف « سمارة » ، تتركه أحياناً لتطير ، ثم تعود لتحطّ على كتفه ، كأنما تستكشف لهم الطريق . وبدءوا مسيرتهم فى طريقهم إلى الشلاّل ، مستعينين بما سبق لهم أن تركوه من علامات وإشارات حفروها على الصخور والأشجار . إلى أن وصلوا إلى مكان أتاهم فيه صوت هدير المياه ، فأطرقت « عالية » السمع بأذنها المرهفة ، وقالت : ياله من صوت عذب جميل .. والآن سأشرب الرّذاذ بعد قليل !

وصلوا إلى المكان وكانت مياه الشلال الصغير تتدفّق وهى تنثر رذاذها على وجوههم ، و « عالية » تلعق قطرات الماء فى شغف ونهم ! جالت نظراتهم هنا وهناك باحثة عن مخبأ أمين .

ولكن لم يكن هناك ما يوحى بوجود مثل هذا المكان . فقال لهم « عامر » : استريحوا هنا قليلاً ، وسأبحث أنا عن مكان يخفينا عن عيون « مجاهد » و « معروف » .

كان المكان محاطاً بالصخور العالية اللامعة الملساء ، تصقلها مياه السيول المتدفقة ، التى تتجمّع فوق القمم لتجد طريقها إلى أسفل الوادى ، وهى تمرّ فى تدفّقها وسريانها بين الصخور ، تنحت فيها الغيران والكهوف . وكان « عامر » يتجوّل فى المكان وهو مأخوذ بجماله ، إلى أن عثر على شجرة ضخمة ، تنسدل فروعها وأوراقها كالشعر المسترسل الهفهاف ، حتى تصل إلى الأرض ، كشجرة الصفصاف . وكانت الشجرة تحجب وراءها حائطاً صخرياً عالياً . فأخذ « عامر » يزيل الأوراق بيديه من أمامه ويفرقها ، حتى يكشف ما وراءها . وإذا به يقف فجأة أمام فتحة فى الحائط الصخرى ، ارتفاعها يبلغ ارتفاع قامته ! ولما أطلّ برأسه إلى الداخل وجد ما يشبه الكهف الصغير ، أرضه مغطاة بالطحالب الخضراء السندسيّة الناعمة ، والتى تنبت من أثر رطوبة الشلاّل ! فأخذ يصيح عليهم ، وهم يتطلّعون فى كل مكان فلا يرونه ! فقد كانت شعور الشجرة الجميلة الباسقة تحجبه عن أنظارهم ، إلى أن

أزاح الفروع بيديه ، وهلّ عليهم بوجهه ، ونادى عليهم .

عدَوْا نحوه ، وأطلّوا برءوسهم داخل الفتحة الواسعة ، فهتفت « عالية » وهى تتعجّب : ياله من منزل رائع بعيد عن الأنظار ! ويالها من ستارة خضراء جميلة ! نرخيها عند الضرورة لتحجبنا عن عيون الدخلاء ، ونفتحها لنستنشق الهواء !

وقال « عامر » : والآن فلنحضر منقولاتنا . . وأكملت له « عالية » جملته : وتموينتا لنخزنه على هذا الرفّ الصخرى.

بسط الأربعة الكليم على أرض الكهف الخضراء ، وجلسوا يتشاورون فيما بينهم ، بعد أن فتحوا الستارة الخضراء قليلاً ليدخل إليهم الهواء العليل ، المبلّل برذاذ الشلاّل . .

وقالت « عالية » : ياله من مكان جميل . . لا مانع عندى أن أعيش هنا بعض الوقت .

فأجابها « عارف » : بل ستعيشين هنا طويلاً ! ! . . وقال « سمارة » : يكفينا أن « مجاهد » وزميله « معروف » لن يعثرا علينا هنا ! وقال « عامر » : الظاهر أننا مقبلون على مغامرة رهيبة . . وكل ما أرجوه أن والدينا وخالنا « ممدوح » لا يقلقون علينا كثيراً . أليس هناك من طريقة نوصل بها أخبارنا إليهم ؟؟. فأجابه « عارف » : هذا مستحيل . . فلا اتصال لنا مع العالم

الخارجى إلاّ عن طريق « مجاهد » و « معروف » .

أما « زاهية » السعيدة . . فكانت لها حريّة الانتقال . تغنى وتصفّر وتقلّد ما تسمعه من أصوات وكلمات ، وهى تطير حول مياه الشلاّل ، وتقف على شجرة الصفصاف ، وتدخل عليهم الكهف فى طلب الطعام . . لا تعول همًّا .

استيقظ الأربعة فى الصباح المبكر وهم أكثر ما يكونون نشاطاً . قال « عامر » أنه سيصطحب « سمارة » معه الى الإسطبل ، حيث يراقبان « مجاهد » و « معروف » وأنهما سوف ينتهزان الفرصة لإحضار باقى الطعام ، إذ لا داعى لتركه هناك . ونبّه على « عارف » أن يلازم « عالية » ولا يتركها وحيدة فى لحظة من اللحظات ، وأن يسدل فروع الشجرة ليقفل بها باب الكهف ، حتى لا تتبع « زاهية » « سمارة » عند رحيله ، وحتى لا يفاجئهما « مجاهد » و « معروف » .

وبعد أن رحل « عامر » و « سمارة » ، وجد « عارف » ألاّ عمل له ، فاضطجع على ظهره ليستريح ، وليدّخر قواه للمستقبل المجهول ! ولكنه غفا . . وعندما وجدت « عالية » نفسها وحيدة ، رقدت بجواره وغفت بدورها .

استيقظت « عالية » من غفوتها ففوجئت بالسكون يخيّم

على الكهف . وكانت تنتظر على الأقلّ تحية حارة من « زاهية » ! وهى تصيح فى وجهها : صباح الخير ! صباح الخير ! فجالت « عالية » ببصرها فى رجاء الكهف الصغير . ولكن لا حسّ ولا خبر عن « زاهية » ! فنادت عليها . . ولكن لا حياة لمن تنادى ! كان من المستحيل أن تغادر « زاهية » الكهف الذى تسدّ بابه فروع الشجرة المتهدّلة . فأين ذهبت هذه الشيطانة الداهية ؟ أتكون غاضبة على فراق صاحبها ! وأنها تختفى فى ركن من سقف الكهف احتجاجاً على هذه المعاملة الجافة ؟!.

تناولت « عالية » البطارية وبحثت على ضوئها فى أركان الكهف ، ولكن « زاهية » كانت قد اختفت تماماً ! وأخيراً لفت نظرها وجود طاقة مظلمة فى سقف الكهف ، وكانت تلامس رأسها . لا بدّ أن الببغاء اختفت فيها ! فنادت عليها : يا « زاهية » . . يا « زاهية » . . أين أنت ؟. إنها لا تردّ ! يالها من ماكرة.

تسلّقت « عالية » الرفّ الصخرى ، وأطلّت برأسها داخل الطاقة ، فلم تر شيئاً سوى الظلام المخيف ! فأضاءت البطارية فكشف ضوؤها عن فضاء متسع يسوده السكون والرهبة والظلام ! فزحفت داخل الطاقة حتى وقفت وسط هذا الفضاء على أرض صخرية منبسطة .

أما « عارف » فقد صحا بعد قليل ، ليجد نفسه وحيداً فى الكهف . يبحث عن أخته ولكنها اختفت ! نادى على « زاهية » ولكنها لم تجب .. أين ذهبتا ؟ فالكهف صغير .. ولا مجال فيه للاختباء !

وبينما هو فى حيرته إذا به يلمح ضوءاً كهربائياً يتسرب من سقف الكهف ، وصوت « عالية » يهمس إليه يناديه : أسرع يا « عارف » .. ادخل من هذه الطاقة ، لقد اكتشفت اكتشافاً عجيباً !! تسلق « عارف » الرف الصخرى ومرق بجسمه من الفتحة ، فوجد نفسه مع « عالية » وسط الفضاء المظلم الرهيب !. تحدثت إليه « عالية » وهى تهمس : هذا كهف واسع ، وأظن أن « زاهية » اكتشفت الفتحة فدخلت منها ، ولا بد أنها ترقد الآن فى ركن من الأركان .. فلننادى عليها ..

قالت هذا وصرخت بأعلى صوتها : « زاهية » !!

فجاءها صوت مخيف يتردد فى أرجاء الكهف يملأ فراغه وهو ينادى : « زاهية » !.. « زاهية » !!.. « زاهية » !!..

صمتا فى رعب ، إلى أن سمعا صراخاً يدوى فى الفضاء وهو يقول : « زاهية » مسكينة !.. مسكينة !.. مسكينة !..

فهمس « عارف » فى أذن « عالية » قائلاً : لا تخافى يا « عالية » .. إنه صدى الصوت يتكلم ! هكذا يحدث دائماً فى الكهوف ! . إنها « زاهية » تردّ علينا بعد أن سمعتنا.

وعندما اطمأنت « زاهية » أنها ليست وحيدة فى الكهف ، أخذت تغنّى وتصفّر ، وكأنها فى غابة برازيلية موطن أجدادها . ولكنها عندما شرعت فى تقليد صوت القطار بأعلى صوتها ، كاد صداه يمزّق الآذان ، وكان الهواء يتخلخل حتى خيّل إليهما أن سقف الكهف سينهار ! وفجأة طارت « زاهية » وتربّعت على كتف « عالية » ، ثم أخفت رأسها تحت جناحها وهى ترتعش من الخوف !

قالت « عالية » : والآن ماذا سنصنع ؟ فأجابها بلا تردّد : سنواصل السير لنرى أين يقودنا هذا الكهف ! ويالها من مفاجأة تنتظر « سمارة » و « عامر » عندما يشاهدان هذا الكهف.

سارا فى الكهف وكان يتسع أمامهما تارة ، ويضيق تارة أخرى ، وهما يتكلمان همساً تفادياً لترديد الصدى المخيف .

أما « زاهية » فقد أطبقت منقارها ولزمت الصمت التام ! وكانا كلّما تقدما فى السير جاءهما صوت هدير مياه يسمعانه من بعيد . إلى أن لمحا ضوءاً يتسرّب من فتحة واسعة فى نهاية

الكهف . فتوجّها صوبها وخرجا منها . وكم كانت دهشتهما عندما وجدا نفسيهما يقفان وراء الشلاّل المائى الصغير ، على رصيف صخرى يشبه الشرفة !.. وكان سيل المياه المتدفق أمامهما يسترهما عن أنظار المتطلّعين من الخارج !

يالها من بقعة خفيّة ! يصعب حتى على الجنّ اكتشافها ! !

عادا أدراجهما إلى مخبأهما الصغير ، حيث الأمان والطمأنينة . وهما يتنفسان الصعداء على اجتيازهما هذه المغامرة الصغيرة بسلام . وكان الفضل فى اكتشافها يعود بلا شك إلى الداهية « زاهية » !

جلسا يتحدثان عن الكهف المتكلّم ، فقالت « عالية » : إنه كهف عجيب ، لا يُستدلّ على مكانه إلاّ بالحظ والصدفة ! أتظن أنه يحوى سرًّا ؟ فأجابها : أتقصدين كنزاً ؟ فقالت : نعم .. الكنز الذى يبحث عنه « مجاهد » و « معروف » ! فأجابها : وما أدراك أنهما يبحثان عن كنز ! ربما كانا يبحثان عن منجم ذهب ! أو عن شخص ! أو ربما كانا من الأشقياء الهاربين من العدالة ! كل هذا جائز ! .

مدّ « عارف » يده وأزاح الستارة الخضراء ، ولكنه فوجىء برؤية « عامر » و « سمارة » من بعيد وهما يتسلّقان المنحدر

فى طريقهما إلى الكهف الصغير ، وكانا يحملان زكيبة الطعام . ولكنه توقّف فجأة وجذب « عالية » من ذراعها وقال : إنهما فى خطر داهم ! انظرى ! هناك رجلان يتبعانهما ، هما « مجاهد » و « معروف » بلا شك .. و« عامر » و « سمارة » لا يشعران بهما !

وما كاد « عامر » و « سمارة » يصلان إلى باب الكهف ، حتى جذبهما « عارف » إلى الداخل ، وأرخى فروع الشجرة .

كان « مجاهد » و « معروف » لا يزالان يسيران فى أسفل المنحدر ، فلم يشاهدا « سمارة » و « عامر » عندما دخلا الكهف . ولما وصلا أمام الشلاّل أخذا ينظران يميناً وشمالاً بحثاً عن طريديهما ، ولكنهما كانا كفصّ ملح ذاب !

وبعد قليل سمع الأربعة « مجاهد » وهو يصيح : غريب هذا الأمر ! أهما من الجنّ أم الإنس أم الأشباح ! أم أننا أصبنا بلوثة فى عقولنا !...

زيدان الأسير العجوز



زيدان

كان « مجاهد » و « معروف » يجولان ويصولان بين الصخور والأشجار ، وهما يحاولان عبثاً اكتشاف مخبأهما . وكانا كلّما اقتربا من باب الكهف ، حبس المغامرون أنفاسهم ، وخاصة عندما اهتزت أفرع الستارة الخضراء ، وكانا قد احتكّا بها وهما على بعد خطوة واحدة منهم ! وعلى حين فجأة سمع « مجاهد » و « معروف » صوت قهقهة عالية ترنّ فى الفضاء .

فقال « **مجاهد** » : أتسمع هذه القهقهة العالية يا « معروف » ! أيضحكان على خيبتنا الثقيلة .. أم إنها ضحكة أرواح شريرة ؟! ..

كانت هذه القهقهة صادرة عن الببغاء « زاهية » بعد أن غافلت « سمارة » ودخلت الكهف المتكلّم ، الذى وجدت فيه

الآن لعبة مسليّة لطيفة ، واختفت وراء مياه الشلاّل ، ووقفت تقلد صوت القهقهة العالية !

أصابهما الفزع والرعب ، وهرعا يغادران المكان لا يلويان على شىء !

اندهش « سمارة » كيف اختفت « زاهية » من الكهف الصغير ، مع أن بابه الأخضر مسدل ! فقالت له « عالية » : « زاهية » خرجت عن طريق الكهف المتكلّم ! فتعجّب « عامر » وقال : كهف متكلّم !! ما هذا الذى تقولين ؟. فروت له « عالية » قصة اكتشافها مع « عارف » للكهف الواسع فى أثناء غيابهما ، وصدى الأصوات التى تتردّد فى أجوائه . وكيف أنهم يمكنهم الآن الاحتماء به فى حالة اكتشاف مخبأهم الصغير المتواضع !

أما الآن فهم يشعرون بالجوع ، وعلى « عالية » أن تحضر لهم الوليمة الفاخرة ! ذهبت « عالية » نحو الستارة الخضراء لتزيحها قليلاً وهى تقول : لا بد لنا من الهواء النقى ، فالمكان صـ[illegible] يضيق بأربعة أشخاص . فاستدركها « سمارة » قائلا : بل خمسة .. لا تنسى « زاهية » ! وتبعه عامر فقال : بل ستّة !! لا تنسى السحلية ! ها هى الآن بجوارى .. لقد تسللت إلى الكهف . علىّ بالبسكويت يا « عالية » !

أخذوا يأكلون ويمزحون ، وكأنهم فى بيتهم بالقاهرة . ونسوا — أو تناسوا — ما هم فيه من مأزق خطير لا يجدون له مخرجاً ! فقالت « عالية » : كان يجب أن نستمتع بكل ذلك ، إذا تأكدنا فقط أن والدينا لا يقلقان علينا .

وقال « **عارف** » : إن المكان رائع .. ولكن من الغريب أنه ليست لدينا عنه أية فكرة .. وأين مكانه من الكرة الأرضية !

انتهوا من طعامهم قبل حلول الظلام ، واستعدّوا للمبيت . وكان الهدوء المخيف يخيّم على المكان ، لا يعكر صفوه إلا صوت هدير المياه . وإذا بهم يفيقون فجأة على صوت يعلو ثم يعلو حتى أصبح يطغى على صوت هدير الشلاّل ! استمعوا إلى الصوت ، وكان مصدره يأتى من السماء . فلما هرعوا إلى الخارج يستجلون الأمر ، وجدوه طائرة تحلّق فوق رءوسهم !

أخذوا يهلّلون ويصيحون من الفرح .. أخيراً ! لقد أتاهم الله بالفرج القريب ! لابدّ أنها طائرة تحمل خالهم « ممدوح » جاء لينقذهم أخيراً ، ويحملهم إلى حيث الأمان ! ولكن واحسرتاه ! إن سعادتهم لم تتم ! فقد نسوا فى غمرة الفرح طائرة الرئيس « مجاهد » .. نعم .. إنها هى بعينها .. على كل

حال هذا أمر يمكن التأكد منه ، وما عليهم إلا التسلّل إلى المكان الرابضة فيه والتأكد من وجودها ! .

أما إذا كانت هى حقيقة طائرة « مجاهد » التى وصلوا بها ، فقد فقدوا الآن ما تبقّى لهم من أمل .. وآخر وسيلة لإنقاذهم . أيقضون حقًّا بقية حياتهم فى هذا الوادى الرهيب المهجور ؟. الآن فقط لم يصبح الأمر فى نظرهم مجرّد مغامرة ! إنما هى كارثة حلّت بهم . بل هى مصيبة كبرى وطامة عظمى لم تكن لهم فى الحسبان ! ! ..

لو كانوا يعلمون بنيّة « مجاهد » و « معروف » على مغادرة الوادى ، لتسللّوا إلى الطائرة فى جنح الظلام واختبئوا فيها ، ولحملتهم معها إلى أىّ مكان معروف .. أىّ مكان ! ولكن ما فائدة التفكير فى ذلك الآن وقد فات الأوان ، ووقعت الفأس فى الرأس !

* * *

كانوا ينظرون إلى الطائرة وهى تبتعد عنهم وتختفى فى الفضاء ، ليختفى معها آخر خيط من أمل بقى لهم فى النجاة

قالت « **عالية** » : أتظنّون أنهما سيرجعان ثانية ؟

فأجابها « عامر » : أظن ذلك . إنهما يتتبّعان أثراً ثميناً ،

ولا أعتقد أنهما سيخذلان بهذه السهولة ! وقال « عارف » : ولكن ماذا يكون هذا الشيء الثمين الذى يبحثان عنه فى مثل هذا المكان القفر ؟ فأجابه « عامر » : هذا ما يستعصى علىَّ إدراكه ! والآن هيّا بنا لنتأكد من أنهما قد غادرا الوادى . ولما وصلوا إلى قرب الكوخ ، تأكّد لهم خلوّه ، كما كان بابه مغلقاً بالمفتاح ، لا يفلح فى فتحه ركل أو رفص ! وكانت النار قد أطفئت وأزيلت آثارها تماماً . قال « سمارة » وهو يضحك : لو كنا نعلم أنهما سيغادران الوادى ، لسألناهما أن يحجزا لنا أربعة مقاعد بالدرجة الأولى فى الطائرة ! ترى متى سيعودان إذا رجعا أصلاً ؟ فقال « عامر » : ليس قبل باكر بأية حال . والآن هيّا بنا نلقى نظرة على الصناديق الخشبية ، ونأكل شيئاً تحت الشجرة . وكانوا قد حملوا معهم بعض الطعام .

وجدوا الصناديق الخشبية الفارغة فى مكانها كما هى ، يخفيها غطاء المشمّع . فاطمأنوا قليلاً على عودتهما ، وإلاّ لنقلا معهما الصناديق فى الطائرة !

وبعد انتهائهم من الطعام والمعاينة ، قفلوا راجعين إلى معسكرهم . وكان فى نية « عالية » أن تصطحب « عامر » و « سمارة » لمشاهدة الكهف المتكلّم ، والذى كانت تفخر دائماً

باكتشافه ! ولكن ما إن وصلوا إلى الكهف حتى صاح « عامر » قائلاً : يالى من غبىّ مهمل .. تصوّروا أنى نسيت فتاحة العلب تحت الشجرة حيث كنا نأكل ! ! .. فقالت له « عالية » : وما العمل الآن ؟ هذه الفتّاحة هى نصف حياتنا ، وماذا لو ضاعت ! إننا سوف نموت جوعاً ! فقال « عامر » سأذهب للبحث عنها ، ولتذهبى أنتِ يا « عالية » مع « عارف » و « سمارة » لمشاهدة الكهف المتكلّم ! وسأراه أنا فى فرصة أخرى .. فالفتاحة أهم من الكهف !

غادر « عامر » المكان وكان يصطحب معه « زاهية » .. وكانت تصيح بشدة احتجاجاً على فراقها « لسمارة » وكانت تصيح : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة !

عثر « عامر » على الفتاحة حيث تركها ، وما كاد يقفل راجعاً حتى سمع أزيزاً مألوفاً ، أخذ يعلو حتى لاحت له طائرة .

فتعجب « عامر » وأخذ يحدّث « زاهية » قائلاً : ما هذا ! لم أكن أنتظر عودتهما بهذه السرعة الخاطفة لا بدّ أنهما ذهبا إلى مكان قريب ! والآنِ إياكِ يا « زاهية » أن تفتحى منقارك بكلمة واحدة ! . قال هذا وتوجّه إلى الشجرة القريبة من الكوخ ، وتسلّقها فى انتظار وصولهما ، لعلّه يسمع أو يرى



جلس الأسير على الأرض وهو يئن من الإعياء الشديد

منهما ما يميط اللّثام عن مهمتهما .

كان « عامر » يراقب الطائرة بمنظاره ، وكم كانت دهشته عندما رأى أربعة أشخاص يهبطون سلّم الطائرة : الريّس « مجاهد » و « معروف » ، يتبعهما رجل غريب يقود عجوزاً ، تظهر آثار الكلل والإعياء على وجهه ، فى حين قيّدت يداه بحبل خلف ظهره !

كان من الواضح أن العجوز أسير ، وكان يتعثّر فى سيره ، ولكن حارسه غليظ القلب كان يركله بقدمه ، ويسحبه ويدفع به إلى الأمام ! وهكذا ظلّ الركب يسير ، يتقدمه الأسير ، حتى وصلوا إلى المعسكر .

أوقد الريّس « مجاهد » النار ، وطلب من « معروف » أن يذهب إلى الكوخ ليحضر بعض الطعام ، بعد أن أعطاه مفتاحه الغليظ . على حين جلس الأسير على الأرض وهو يئن من الإعياء الشديد . أما حارسه فقد جلس بجواره وهو ينظر إلى الريّس « مجاهد » فى صمت . وكانوا يأكلون ويتحدّثون بصوت خافت ، لم يصل كلّه إلى أذنى « عامر » . وكان الأسير ينظر إليهم فى لهفة يسألهم بعض الطعام والماء . ولكن « مجاهد » ضحك ضحكة ساخرة وقال : لن تأكل أو تشرب قبل أن

تخبرنا عمّا نريد ! وعندما لم يجب الأسير ، لكمه حارسه لكمة ترنّح لها ، مما أدخل الذعر والألم فى قلب « عامر » ، وكان يرثى لحال الأسير العجوز المغلوب على أمره . وأخيراً نطق الأسير وقال : وماذا تريدون منى الآن ؟ أليست الخريطة معكم ! فأجابه « مجاهد » : إنها مبهمة غير واضحة ، ويتعذّر علينا قراءتها ، وربما تكون مضلّلة ! ولكنك ستدلّنا على الطريق بنفسك باكراً ! فقال الأسير العجوز : إنى أشعر بالضعف ، ولا يمكننى السير ، فالطريق وعر والمسافة طويلة و . . . فقاطعه « مجاهد » : لا بأس . . سنجرّك جرّاً إلى هناك إذا اقتضى الحال ! وإذا رفضت فسنميتك جوعاً وعطشاً !

وبعد أن انتهوا من طعامهم ، أخذ « مجاهد » فى التثاؤب ، وقال للحارس : والآن إلى الكوخ ، سننام أنا و « معروف » على المراتب ، وستنام أنت يا « حليمو » على الكرسى ، وسنلقى « بزيدان » على الأرض وهو موثوق اليدين !

سألهم الأسير « زيدان » أن يرحموا كهولته ، وأن يفكّوا وثاقه ، ولكنهم رفضوا . وكان قلب « عامر » ينفطر عليه من الأسى والألم ، ولكن لم يكن فى وسعه أن يفعل له شيئاً !.

هبط الظلام بسرعة وكان « عامر » فى طريقه إلى الكهف

الصغير ، ولكنّ عينيه كانتا كعينى القط تكشف فى الظلام . وكان كلما التبس عليه الطريق دلّته عليه « زاهية » ، فكانت تطير أمامه كالدليل تقوده بغريزتها إلى الطريق الصحيح ! وصل « عامر » إلى الكهف بعد أن كاد « عارف » و « عالية » و « سمارة » ييئسون من وصوله ، واعتقدوا أنه ضلّ سبيله فى الظلام ، أو حدث له مكروه .

ولكنه ما كاد يهلّ عليهم بوجهه فى الكهف ، حتى هللوا لرؤيته ، وسألته « عالية » على الفور : هل وجدت الفتّاحة ؟ فأجابها : نعم وجدتها ، وجئت لكم أيضاً بأخبار هامة !.. هيّا بنا نأكل شيئاً . . وسأروى لكم الكثير عند تناولنا الطعام . .

روى لهم « عامر » ما شاهده بالتفصيل ، وكانت « عالية » تتألم لما حدث للأسير العجوز « زيدان » .
وقال « عامر » : إن الموقف ابتدأ ينجلى ، فهناك كنز مخبأ فى الوادى ، وإن هؤلاء الرجال فى أثره ، وإنهم تمكنوا بطريقتهم الخاصــــة من الحصول على خريطة تشير إلى مكانه ، ولكن تعذر عليهم مع ذلك الوصول إليه . وأخيراً وضعوا أيديهم على من يعرف طريقه !

الريس مجاهد

وقال « سمارة » : فأسروه !! وهم يريدون أن يجبروه على أن يبوح بالسرّ الخطير ! فصاحت « عالية » : يا للوحوش ! وهل تظنون أن « زيدان » المسكين سيخضع لهم ؟
فقال « عامر » : إن العجوز لا حيلة له . . وأرجو أن ينفّذ طلبهم حرصاً على حياته . وقال « سمارة » : ولكن ماذا يمكننا

أن نفعله نحن الآن ؟ فقال « عامر » بعد تروٍّ وتفكير : الآن . . يجب على أحدنا . . أو بعضنا . . أن يتبع هؤلاء الرجال لمعرفة هذا المخبأ ، فقد نتمكن بطريقة ما أن نطلب النجدة ، وننقذ هذا الشىء الذى يبغونه . ومن المؤكد أنه لا يخصّهم ! فهم لصوص مجرمون !.
وقالت « عالية » : وماذا تظن هذا الشىء ؟ أهو سبائك ذهب أم جواهر ؟ فأجابها « عامر » : لا أحد يعرف . . قد لا يكون هذا أو ذاك . . وقد لا يكون كنزاً على الإطلاق !
ظلّوا يفكّرون فيما قاله « عامر » ، ولكن « عالية » لم تعجبها الفكرة ، إذ ماذا يحدث لو اكتشفهم الرجال وهم يتتبعونهم وقبضوا عليهم ! هنا تكون الطامة الكبرى !. ثم قال « عامر » : سأذهب مع « سمارة » صباح الغد لتعقّبهم ، وستمكث يا « عارف » مع « عالية » فى الكهف ، فالمغامرة رهيبة ، ولا داعى لتعريض « عالية » للخطر و . . . فقاطعته « عالية » وهى فى أشد حالات الغضب : ماذا تقصد !! أتقصد أن تحتفظ بالمغامرة لنفسك وحدك أنت و « سمارة » ! سأحضر معك أنا و « عارف » مهما كلّفنا الأمر !
رضخ لها « عامر » صاغراً ، فهو أدرى بعناد « عالية »

وإصرارها ، وولعها الشديد بالمغامرة والمخاطرة ، وقال : حسناً ! ستأتى معنا يا « عالية » . . وسنمرّ من هذا الطريق السفلىّ عند الصخرة السوداء ، وننتظرهم هناك ، ونقتفى أثرهم من بعيد !

وافقوا على خطّته ، واضطجعوا على الكليم استعداداً للنوم المبكّر ، فالغد يوم عصيب . وكان هذا اليوم هو رابع أيامهم فى الكهف الصغير !

° ° °

استيقظ المغامرون وهم يشعرون بالفرح ، فهم مقدمون على مهمة قد تكون خطيرة ، ولكنها قد تكون حاسمة ، ذات نتائج باهرة !

تجمّع المغامرون عند الصخرة السوداء ، وكان « عامر » يجول بمنظاره فى أرجاء الوادى . وأخيراً أعلن لهم بأن العصابة تتقدم فى الطريق . وذكر أنه يرى الأسير العجوز وهو يترنّح فى سيره ، وأن حارسه يدفعه أمامه بقسوة وغلظة وشراسة .

كان الطابور يسير و « مجاهد » فى مقدمته ، لا يغيب أثره عن أعين المغامرين . وكانت « زاهية » تتربّع كالعادة على كتف « سمارة » وهى صامتة ، كأنها تدرك أهمية صمتها فى مثل هذه

المهمة الخطيرة !

وكان « عارف » يتولى عملية حفر العلامات على الصخور وجذوع الأشجار ، تأميناً لسلامة طريق العودة . إلى أن وصلوا إلى مكان منعزل من الجبل ، تتناثر فيه قطع الصخور على مختلف أحجامها ، وجذوع وفروع الأشجار . فقال « عامر » فجأة : ولكن أين « مجاهد » ورجاله ؟ إنى لا أراهم ! لقد اختفوا ! فلنكن الآن على حذر ، فالمكان هنا منبسط مكشوف ، ولكنى أعتقد أنهم فى مكان ما وراء هذه الصخرة الكبيرة . فلنذهب إليها ولا نصدر صوتاً . تسلقوا الصخرة . . فوجدوا بها شجيرة كثيفة اختبئوا وسطها ، وأخذوا ينظرون خلسة على المكان الفسيح . وإذا بهم يرون الجماعة تحتهم عن قرب ، وقد وقف « زيدان » العجوز وسطهم وهو مكتوف اليدين ، يترنّح من التعب والجوع والعطش ! وكان الأسير العجوز يشير بيده ويقول : كان المدخل هنا !.. فصرخ فيه « مجاهد » : ماذا تقصد كان هنا ! أين بالضبط !..

فقال الأسير : هنا فى مكان ما ! فالسيل مرّ من هنا . . وسدّت الصخور المنافذ ، وتغيّرت المعالم !!..

أخذ « مجاهد » يصيح فيه وينهره ، ثم أصدر أمره إلى

الجميع بإزالة الصخور بأيديهم العارية . وكان هذا من المستحيل ، فالصخور ضخمة تعدّ بالآلاف ، لا تزيلها إلاّ آلات رافعة . ونشات قوية ! وكان منظر « زيدان » العجوز يفتّت الأكباد . وهو يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، فى محاولته اليائسة لإزالة الصخور معهم !

وعندما أدرك المغامرون أن « مجاهد » وعصابته قد انتابهم اليأس ، قرّروا الإسراع فى العودة إلى الكهف . وكانوا يهتدون إلى طريقهم بسهولة ، والفضل يرجع إلى دقة « عارف » ومهارته فى رسم الطريق على الأشجار والصخور . ولما وصلوا إلى الكهف وهم يلهثون من التعب والركض ، جلسوا يتحدثون عن الأسير العجوز « زيدان » ، وماذا يفعله الآن هذا المسكين وسط الصخور المتراكمة ، والأشجار التى اقتلعتها السيول من جذورها ! هل تركوه وحيداً بجوار الكنز ليموت بعد عذاب أليم !

وكانت « عالية » أكثرهم تأثراً بما أصاب « زيدان » العجوز ، حتى كادت الدموع تطفر من عينيها ، وقالت : كيف لنا أن نترك هذا العجوز وحيداً وسط هؤلاء الوحوش ، يجب علينا إنقاذه .



وكان زيدان يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، فى محاولته اليائسة لإزالة الصخور معهم !

وقال « سمارة » : هذا أقلّ ما يجب علينا عمله . . ولكنى فى الوقت نفسه أرجو ألاّ يستسلم « مجاهد » لليأس ويرحل عن المكان ، ويتركنا وراءه كالسفينة الجانحة فى خضمّ هذا الوادى الرهيب المنعزل !

* * *

ظلّوا قابعين فى مكمنهم مدة طويلة ، حتى تأكدوا من أن العصابة قد عادت إلى الكوخ بخفّى حنين !.. فقالت « عالية » : والآن . . هل سنترك هذا العجوز المسكين فى وحدته بين الصخور ليموت من الجوع ؟؟.. فأجابها « عامر » : أنا لا أعتقد أن القسوة بلغت بهم حدّ تركه هكذا ليموت . فزيدان مهما كان يحمل بين جنبيه سرًّا خطيراً ، يصعب عليهم التفريط فيه بهذه السهولة !. فقال « عارف » : وماذا تقترح الآن ؟

قال « عامر » : أقترح أن أذهب مع « سمارة » إلى الكوخ أولاً ، لربما اصطحبوا « زيدان » معهم هناك ، وإلاّ فلنذهب جميعاً لإنقاذه من بين الصخور . فقالت « عالية » : افعل ما تشاء . . بشرط إنقاذ « زيدان » من الموت !

غادر « عامر » و « سمارة » الكهف فى طريقهم إلى الكوخ ، وكانت « زاهية » تصرخ كعادتها محتجة على ترك « سمارة »

يذهب بدونها ! ولما أشرف على الوادى بحث « عامر » بمنظاره عن أثر العصابة ، فشاهد عامود الدخان يتصاعد فى الهواء ، فتأكد من وجودهم ، وأنهم يتناولون الآن طعامهم .

ظل « عامر » و « سمارة » فى مكانهما مدة طويلة ، انتظاراً لتحرّك « مجاهد » و « معروف » و « حليمو » ، ولكن ما لبث « عامر » أن رآهم يتجهون نحو الطائرة ، ولم يكن « زيدان » العجوز بينهم !

أين « زيدان » يا ترى ؟ هل تركوه بين الصخور ! أم إنه حبيس الكوخ ؟ ولماذا هم يتجهون نحو الطائرة ؟ أيغادرون الوادى أخيراً بعد أن يئسوا من الحصول على الكنز ؟

يا للكارثة التى ستحلّ بهم لو هم تركوهم وحيدين فى هذا المعتقل !!..

وبعد قليل سمعا أزيز المحركات وهى تدور ، فتملكهما الرعب القاتل ! ولكن ظلّت محركات الطائرة تدور لفترة طالت ، وشاهدهم « عامر » وهم يهبطون من الطائرة – وما زالت محركاتها دائرة – ويحومون حولها ، ثم يدخلونها ثانية . فتأكّد من أنهم يطمئنون على سلامة محركات الطائرة وتجهيزها تمهيداً للإقلاع بها فى وقت قريب . قال « عامر » « لسمارة » وهو

يسلّمه منظاره : امكث أنت هنا وراقب الطائرة ، وسأنتهز فرصة انشغالهم بالطائرة وخلوّ الكوخ ، لربما كان « زيدان » سجيناً بداخله !

عدا « عامر » نحو الكوخ وهو يحتمى فى الصخور والأشجار حتى وصل إليه . فتطلع من النافذة بعد أن قفز وتعلّق بحافتها ، وبحركة رياضيّة بارعة وصلت رأسه خلف الزجاج . وإذا به يفاجأ « بزيدان » وهو مشدود بالحبال إلى كرسى وسط الحجرة . وكان المسكين يتأوه وهو يحاول الفكاك من رباطه . فكان يبدو كأنه صورة مجسّمة للبؤس والعذاب . ولكن كيف له إنقاذ « زيدان » والباب محكم الغلق ، يقف أمامه كسدٍّ منيع !. ولكنه رأى فجأة شيئاً لم تصدقه عيناه فى أول الأمر . . ولكن ها هو أمامه ! كيف يكذّب عينيه ! ها هو مفتاح غليظ معلّق فى مسمار بباب الكوخ . هو مفتاح الباب بلا ريب ، تركوه معلّقاً فى الباب حتى يسهل على كلٍّ منهم دخول الكوخ فى غيبة الآخرين ! فتناول « عامر » المفتاح بيد مرتجفة . . وفتح الباب . . ودخل الحجرة بسرعة ، فنظر إليه « زيدان » وقد جحظت عيناه من الدهشة والمفاجأة . فبادره « عامر » وهو يهشّ فى وجهه قائلاً : جئت لإطلاق سراحك . . تريد أن

تأتى معى ؟

وشرع « عامر » فى فكّ وثاقه ، ووضع الحبال الثمينة فى جيبه ، ثم خرجا معاً . وكان « زيدان » يترنح فى سيره من الإرهاق الشديد . ثم أغلق الباب ووضع مفتاحه على المسمار !

قال له « عامر » : يالها من مفاجأة عظيمة عندما يكتشف « مجاهد » وعصابته فرارك العجيب ، وسيتعجبون كيف تسنّى لك فتح الباب من الخارج وأنت داخل الحجرة ، موثوق اليدين والقدمين . سيظنون أنك من الجنّ ولست من البشر ! فهؤلاء الناس عادة يؤمنون بالخرافات وتسيطر على عقولهم معتقدات غريبة .

كان « عامر » لا يصدّق أنه سيصل « بزيدان » إلى حيث ترك « سمارة » بجوار الإسطبل . فقد كان العجوز يتحامل على نفسه ، و « عامر » يكاد يحمله حملاً !. ولما وصلا ، ساعده « عامر » و « سمارة » على دخول الإسطبل ليبيت ليلته ، حيث كان يتعذّر عليه الآن السير حتى الكهف الصغير . وقال « عامر » « لسمارة » أن يذهب ليخطر « عارف » و « عالية » بما حدث ، وأن يحضر معه طعاماً وشراباً « لزيدان » ، وأنه سينتظره حتى عودته

جلس « عامر » بجواره يتحدث إليه بعد أن أنس له

« زيدان » . ثم فاجأه بقوله : أنت تعرف سرّ الكنز ! فاندهش « زيدان » وقال : الكنز !! نعم ! نعم ! أنا أعرف مكانه ! أعرف كل شىء عنه . . أنت ولد طيب . . وأنا مدين لك بالكثير فقد أنقذت حياتى . . سأرسم لك خريطة تقودك إليه . . فما فائدة الكنز لى وقد أصبحت كهلاً مريضاً على شفا الموت !

تجهّم وجه « عامر » . . فقد كان يعلم مكان الكنز . . إنه بين أكوام الصخور . . وما الفائدة ولا يمكن أن تصل إليه الآن يد إنسان !!..

فقال « عامر » : ولكنى أعرف مكان الكنز ، لقد رأيتك هذا الصباح وأنت تشير « لمجاهد » عن مكانه . . فلا تتعب نفسك فى رسم الخريطة ! فضحك « زيدان » ضحكة خبث وقال : إنهم سذّج وبلهاء ! فلا كنز هناك فى هذا المكان !!..

فاندهش « عامر » وقال : أتعنى أنك خدعتهم ! وأنك كنت تعلم بوجود هذه الصخور ، وادّعيت أن مدخل الكنز هناك ! أتعنى أن الكنز ليس وراء هذه الصخور !!..

قال « زيدان » وهو يضحك : نعم . . لا كنز هناك ! لقد غرّرت بهم ! وكم أنا سعيد كلّما تذكّرت « مجاهد » وهو ينبش الصخر حتى أدمى يديه !

يا لها من خدعة بارعة من « زيدان » ! ولكن أين هو مكان الكنز الحقيقى ؟؟

قال « زيدان » : سأرسم لك خريطة تقودك إلى الكنز . ثم سكت برهة وقال : وإلى خارج هذا الوادى أيضاً . . عن طريق ممّر « الرّياح » . . هكذا يسمّونه ! وعليك أن تأخذ خريطة الكنز لتسلمها إلى سلطات الأمن !

يالسعادة « عامر » عندما سمع هذا الحديث . ويالها من مفاجأة ضخمة تنتظر خاله « ممدوح » لم تكن تطرأ له على بال . إنه سعيد بمغامرتهم ، فلن يلومهم عليها أحد بعد الآن !

قال « عامر » : ولماذا لا تأتى بنفسك معنا لتدلّنا على الطريق ؟ وإلى سبيل النجاة !

فأجابه « زيدان » : إنى رجل مريض ، وإذا لم أجد الطبيب والدواء فسوف أموت هنا ! سأرسم لك الخريطة الآن ، وكذلك ممر الرّياح . والممرّ ضيّق جداً ولكن يسهل عبوره !

أخرج له « عامر » مفكّرته ، وكان يراقبه بدقّة وهو يخط عليها بقلمه الرصاص طريق الكنز .

هذا هو الشلاّل . . فهو يعرفه جيداً . . وها هى ذى صخرة سوداء غريبة الشكل ، تبدو من بعيد كهرم سقارة المدرّج

ثم يتقدم حتى يصل إلى شجرة ضخمة تميل حتى تكاد تهوى على الأرض . . ثم يسير فى اتجاه السهم حتى يصل إلى حائط صخرىّ شاهق . . وهناك يجد فتحة عالية تصعب رؤيتها . . . هى مدخل كهف فى باطن الجبل الأصمّ . . . حيث يوجد الكنز الدفين ! ! . .

ثم تابع الرسم وهو يشير إلى طريق ممرّ الرياح ، فى منحنيات ومنحدرات خطرة وعرة . . حتى يصل إلى الممرّ . . حيث لا تخطئه عين . فهو ممرّ ضيّق جداً بين جبلين مرتفعين ! كان « عامر » مأخوذاً بالرسم لا يفكر فى شىء سواه ، حتى فاته أن يسأل العجوز عن فحوى الكنز . . أو عن مكان إقامتهم وأين هم . . . أوعن المكان الذى يؤدى إليه ممر الرّياح ! ! . .

ولماذا العجلة وهو سيأتى إليه فى الغد ، ليصطحبه بعد أن يستريح ، إلى مخبأهم فى الكهف الصغير ، حيث يخفيه عن أيدى عصابة الشّرير « مجاهد » .

وصل « سمارة » بالطعام والشراب ، فأكل « زيدان » وشرب بنهم وشراهة . وشكرهما كثيراً على إنقاذهما حياته .

ثم تركاه وحيداً فى الإسطبل ، على وعد منهما بأن يعودا فى الغد ليقوداه إلى حيث يقيمون فى مخبأهم الأمين

فى الطريق إلى الكنز



سمارة

سارع « عامر » بصحبة « سمارة » يتحدثان وهما فى طريقهما إلى الكهف الصغير فقال « عامر » : أتعرف يا « سمارة » ما حصلت عليه من « زيدان » ؟ إنها خريطة تبين موقع الكنز . فأجابه « سمارة » بلا مبالاة : هذا ليس بجديد علينا ، فنحن نعرف أين هو الكنز !

فقال « عامر » : أبداً ، لقد غرّر بهم هذا العجوز ، والكنز فى موقع آخر ! فسأله « سمارة » بلهفة : وما هو هذا الكنز ؟ فأجابه : لقد نسيت أن أسأله ، وسنعرف ذلك منه غداً على كل حال . كما دلنى على طريق الخروج من الوادى عبر ممرّ الرّياح !

كاد « سمارة » يطير فرحاً بهذه الأخبار السّارة المثيرة .

فأخيراً قد لاح لهم طريق النجاة . . والعثور على الكنز . ولكن « عامر » أبدى قلقه على مصير الأسير العجوز . فلا ريب أن الشرير « مجاهد » سوف يقلب عليه الوادى ، عندما يكتشف هربه ، وربما عثر عليه فى الإسطبل !..

وأخيراً وصلا إلى الكهف ، وكانت « عالية » و « عارف » فى انتظارهما وهما على أحرّ من الجمر . فأخذته « عالية » بالأحضان ، وسألته عن « زيدان » العجوز ، فأخبرها « عامر » بما حدث ، وبخريطة الكنز التى رسمها « زيدان » ، وبممّر الرّياح طريق النجاة ! فصاحت « عالية » : لقد كنت أحلم دائماً بالعثور على كنز حقيقى ، وها هى ذى الفرصة سنحت أخيراً . متى سنذهب إلى الكنز ؟ باكراً ؟.. فأجابها « عامر » فى حزم : لن نذهب إليه !!.. يجب أولاً أن نخرج من هذا الوادى بأسرع ما يمكن ، لنذهب إلى خالنا « ممدوح » ، وهو الذى سيتولى البحث عن الكنز ! وأن نتصل بوالدينا لنطمئنهما علينا ! ويؤسفنى جداً يا عزيزتى « عالية » أن أخيّب أملك !

ثم وجّه حديثه إليهم جميعاً وقال : يجب أن ننام مبكرا ، فالغد يوم مشحون بالعمل ! سنذهب أولاً لإحضار « زيدان » ،

ثم البحث عن ممرّ الرّياح ، ثم العثور على خالنا « ممدوح » !

فقالت « عالية » فى استسلام : الظاهر أن مغامرتنا أصبحت على وشك الانتهاء .

ولكن كم كانت « عالية » بعيدة فى تصوّرها عن الصواب !! لأن مغامرتهم كانت فى الحقيقة لا تزال أبعد ما تكون عن الانتهاء :!! بل هى لم تبدأ بعد !!..

* * *

صحا « عامر » فى الفجر ، ولم يشأ إيقاظهم حتى يأخذون قسطهم من الراحة استعداداً لمفاجآت اليوم الشاق العصيب .

كان يوماً عاصفاً ، والرياح تهبّ بشدة تكاد تقتلع الأشجار ولكنه رأى مع ذلك أن يتوجّه لإحضار « زيدان » كسابق وعده له . وعندما دخل حيث تركه بالأمس ، وجد المكان خالياً !؟. لقد اختفى الأسير العجوز ! لم تكن فى ذلك مفاجأة كبرى « لعامر » ، فقد كان من المحتمل أن يعثر عليه « مجاهد » . ولكنه رأى قبل أن يرجع إلى الكهف ، أن يذهب إلى « نقطة المراقبة » ليتسلقها ، ويكشف بمنظاره عما يحدث فى الوادى . . لعلّه يرى « زيدان » أيضاً !

وما كاد يصل تحت الشجرة وهو يقاوم الريح ، حتى شعر



كان صـ ـر الرياح يصم الآذان عندما حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد سقط شىء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !

بيد فولاذيّة تقبض عليه من الخلف ، وبصوت أجشّ يصيح فيه : وأخيراً ضبطناك يا مجرم !!.. من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟؟! فنظر إليه « عامر » فى فزع ، فعرفه توًّا . . إنه « حليمو » حارس « زيدان » ! كم هو فظٌّ غليظ خشن المظهر ! لقد كان فى انتظاره بعد أن عثر على « زيدان » فى الإسطبل ، ونقله إلى الكوخ ثانية . وكانوا على يقين من أن أحداً سوف يأتى لإنقاذ « زيدان » .

أراد « عامر » أن يتخلّص من قبضة « حليمو » الحديدية . . ولكن هيهات ! .

كان صرير الرياح يصمّ الآذان ، يكاد يقتلعهما من سطح الأرض ، عندما حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد سقط شىء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !! نظر « عامر » إلى هذا الشىء فوجده إحدى حقائبهم الثقيلة ، وكانت لا تزال بين الفروع كما تركوها ، وقد هوت على أمّ رأس « حليمو » بفعل الرّياح ، فسقط فاقد الوعى بجوار جذع الشجرة السميك ! فبادر « عامر » بإخراج الحبال التى أخذها من الكوخ ، وقيّد بها يدى « حليمو » وقدميه . ثم أخرج حبله الطويل الملفوف حول وسطه ، وأحكم به ربطه فى جذع الشجرة فأصبح

« حليمو » والشجرة قطعة واحدة !

وبعد أن انتهى من هذه المهمة ، تسلّق الشجرة بسرعة ، وصوّب منظاره نحو الطائرة ، ولكنه لم يرها على الممر ! ! كيف اختفت الطائرة ولم يسمعوا صوت محرّكاتها ؟ لا بدّ أنها طارت أثناء الليل ، وكانوا يغطّون فى نومهم ، واختلط أزيزها بصوت الريح !

تُرى هل غادر « مجاهد » الوادى إلى غير رجعة ؟ وأخذ « زيدان » معه ، بعد أن يئس من استخراج الكنز ؟! هذا لا يهم الآن على كل حال ، سواء غادروا الوادى أم بقوا فيه . . بعد أن اكتشفوا طريق النجاة عبر ممرّ الريّاح . فهم ليسوا الآن فى حاجة إلى طائرة تنقذهم من ورطتهم ! ولكن كيف تركوا « حليمو » وراءهم وحيداً ؟ لا بدّ أن يرجعوا إليه قريباً ! أيكونون قد رحلوا لإحضار المزيد من الرجال والعتاد ؟ هذا أقرب إلى الاحتمال . . .

• • •

عاد « عامر » بأقصى سرعته نحو الكهف ، وكانت الرياح تدفعه من الخلف ، فوصله فى زمن قياسى !. كانوا فى انتظاره على مائدة الإفطار ، أو « كليم » الإفطار كما كانت تسميه

« عالية » .

استقبلته « عالية » بلهفة وهى تسأله عن « زيدان » فظهر القلق على وجه « عامر » وأجابها : لقد رحلت الطائرة ! ورحل معها « زيدان » ! فقالت « عالية » وقد بدا الحزن العميق على وجهها : المسكين . . وماذا سنصنع ؟ فأجابها : والآن . . إلى ممرّ الرّياح ! ! والحمد لله أن العجوز رسم لنا الخريطة ، وإلا لما كنا اهتدينا إلى طريق النجاة ! والآن فلنسرع ، وسنحمل معنا أكثر ما يمكن حمله من الطعام والماء ، فمن يعلم متى سنجد طريقنا إلى العمران .

قال « **سمارة** » : إن أشد ما يدهشنى هو أن هذا الوادى غير مأهول ! فلماذا لا يأتى الناس إليه إذا كان فى الإمكان الوصول إليه عبر هذا الممر ؟

فأجابه « **عارف** » : لا بدّ أن هناك سبباً وجيهاً نجهله يمنعهم من ذلك ! !..

ساروا فى طريقهم إلى الممرّ ، متبعين الخريطة الموضح بها الدروب والمسالك والجهات الأصلية الأربع ، وعلى هدى البوصلة التى لا تفارق « عامر » . أما حقائبهم فكانت لا تزال فوق الشجرة ، وأمتعتهم فى الكهف الصغير ، تركوها كلها فى

أماكنها ، فهى عبء ثقيل عليهم ، ومادام فى نيّتهم العودة مع خالهم « ممدوح » للبحث عن الكنز !

قال لهم « عامر » : لنسير الآن فى الطابور الهندى !

فسألته « عالية » مندهشة : وما هو الطابور الهندى ؟.. فأجابها وهو يضحك : هو أن يتبع كل واحد منا الآخر فى طابور مفرد طويل .. حتى لا نتفرّق ويذهب كل منا فى طريق ! وهى الطريقة المتبعة فى اختراق الغابات الهندية الموحشة الشاسعة !

كان الطريق شاقاً ، اجتازوا فيه المنحنيات الحادّة ، والمنحدرات والأكمات الخطرة الوعرة ، وهم يسيرون فى الطابور الهندى لئلا يتفرّقوا ، كما أشار عليهم « عامر » ، حتى وصلوا إلى مرتفع يطلّ على جبلين صخريين ، يفصلهما ممرّ ضيّق لا يسمح بمرور سيارة !

قال « عامر » : هذا هو ممرّ الرّياح بلا شك . إنه يبدو ضيّقاً لأننا نراه عن بُعد .. ولكنه سيتّسع عندما نهبط من هذا المرتفع .

ولكن كانت المفاجأة مذهلة عندما وصلوا إلى باب الممرّ ! فقد وجدوه مسدوداً بكتل الصخور الضخمة التى جرفتها السيول !!.. ولا يمكن حتى لماعز جبلىّ أن تتسلّقها !

سكتوا عن الكلام وقد انتابهم اليأس القاتل . كانوا فى أول الأمر لا يصدّقون أعينهم .. ياللحظ العاثر .. لقد كانوا على قاب قوسين أو أدنى من النجاة !

وأخيراً نطق « سمارة » : لا عجب فى أن الوادى مهجور .. فلا دخول ولا خروج ولا مرور ! وأضاف « عارف » : ولا وسيلة إلى دخوله والخروج منه إلاّ بالطائرة !! إن هؤلاء المجرمين قد علموا بسدّ الممرّ فاستعملوا الطائرة !.. لا بدّ أنهم من كبار المجرمين أو المهربين الخطرين .

بدا الاضطراب والوجل واضحاً على وجوههم ، وخاصة « عالية » . فقد تأكد لهم الآن أنهم فى موقف لا يحسدون عليه ! وأن مأزقهم لا مخرج لهم منه إلاّ بفرج من عند الله .

قالت « عالية » بصوت مرتعش : وما العمل الآن وقد حوصرنا فى هذا الوادى ؟! فأجابها « عارف » على الفور : فلنرجع إلى الكهف .. ولنبحث عن الكنز .. لا بدّ أن نعمل عملاً .. فإذا عثرنا على الكنز فسوف يعوّضنا عن خيبة أملنا هذه !. وقال « سمارة » : ولم لا ! فالرجال رحلوا ومعهم « زيدان » .. فليس أمامنا من عمل إلاّ البحث عن الكنز ! وكم سيكون مثيراً أن نعثر عليه .. وأن ننجح فيما لم تنجح فيه

هذه العصابة الخطيرة !

قالت « عالية » وقد نسيت نفسها وذهب عنها الخوف فجأة : وإذا عثرنا على الكنز ، هل سنحصل على نصيبنا فيه ؟؟.. هيا بنا الآن نتصيّد الكنز ! !

* * *

بدءوا مسيرتهم نحو الكنز من الشلاّل تبعاً لما هو مبين بالخريطة ، وتسلّقوا درباً صاعداً وعراً . وبعد سير طويل مرهق شاهدوا من بعيد الصخرة السوداء الهرميّة الشكل . . . إنها تبدو تماماً كهرم سقارة المدرّج ! إنها علامة مميَّزة لا يخطئها إنسان ! . ومن هنا أخذوا يجولون بأبصارهم بحثاً عن الشجرة التى تكاد تهوى على الأرض . . إن الأشجار هنا كثيرة ! ولكنها كلّها مستقيمة ! ولكن « عامر » اكتشفها فجأة بمنظاره ، وكانت تنمو فى مكان منعزل على أكمة مجاورة . فصعدوا الأكمة وجلسوا تحت الشجرة ، وكان يخيّل إليهم أنها ستهوى فوق رءوسهم ، حتى يستردون أنفاسهم ، ويدرسون الخريطة . وكانت الخريطة تشير عليهم بالسير شرقاً لنصف ساعة تقريباً ، وهناك يجدون منحدراً يهبطونه ، ثم يتابعون السّير غرباً تبعاً للسّهام المرسومة ، إلى أن يقابلهم حائط صخرى مائل مرتفع !..

وهناك يجدون فتحة عالية . . هى مدخل الكنز ! !..

وأخيراً نجحوا فى الوصول إلى الحائط الصخرى المائل المرتفع . . لا شكّ فى أنه هو بعينه المكان المقصود . وبحثوا عن الفتحة العالية . . ولكن أين هى هذه الفتحة ؟؟ لا فتحات هناك ! .

جلسوا أمام الحائط يستظلّون من حرارة الشمس ، وكانت « عالية » تستند بظهرها إلى جذع شجرة وارفة ، وهى تنظر إلى الجدار الصخرى بعينها الفاحصة المدقّقة . وبغتة هتفت وهى تشير بيدها إلى مكان فى الجدار : إنى أرى الفتحة ! انظروا . . . هناك . . . ترون نتوءاً بارزاً كالشرفة ، يحجب عنا الفتحة . . إنى أرى طرفاً منها !

أسرعوا فى تسلّق الجدار وهم يتشبّثون بالأعشاب والشجيرات الصغيرة التى تنمو هنا وهناك بين الصخور ، إلى أن وقفوا على الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة فى الصخر . . يكتنفها الظلام الدامس !

وقفوا أمامها والرهبة تتملّكهم . . أيدخلون إلى المجهول . . أم يكتفون من الغنيمة بالإياب ؟ ألا يكفيهم أنهم اكتشفوا مكان الكنز ؟ ويدعون باقى العمل لخالهم « ممدوح » ؟ فهو



وقفوا على الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة فى الصخر !

من كبار رجال الأمن ، ومن صميم اختصاص عمله البحث عن المخبآت والمهرّبات ، ومطاردة المجرمين والمهرّبين !

ولكن حب المغامرة المتأصّل فى نفوسهم لم يترك لهم مجالاً للتعقّل والرويّة . فقرّروا اقتحام الكهف الغامض ! سواء أكان بداخله الكنز ، أم لم يكن !

حمْلق « عامر » فى الفتحة وهو يقول : ياللحظ الحسن ! ولكن أيكون هذا هو مدخل الكنز حقيقة ؟. ثم صوّب بطاريته إلى الداخل وقال : أرى هذه الفتحة تؤدى إلى طرقة أو ممرّ . . أما بعد ذلك فهو غامض مجهول !

وبعد أن تردّد قليلاً ، سار على مهل وهو يقدّم خطوة ويؤخّر أخرى ، و « عارف » و « سمارة » و « عالية » و « زاهية » يتبعون أثره فى الطابور الهندى .

عامر

كان «عامر» يـرأس الطابور الهندى ، ويتبعـه الباقون بخطى مترددّة ، حينما قال لهم بنبرات مرتعشة : يبدو أن هذا المكان يصلح لإخفاء كنز ! لنسرع فنحن على وشك العثور عليه !

واصلوا السير فى طرقات تضيق أحياناً ، وتتسع أحياناً أخرى ، وتتلوّى ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنها تتّجه دائماً إلى جوف الجبل .

وفجأة اتّسع المكان ، وكشف عن منظر بهتوا له جميعاً ، وتسمّرت أقدامهم على الأرض ! كان ضوء البطارية ينعكس على ما يشبه الأعمدة الثلجية التى تتخذ أشكالاً عجيبة ، تتدلى من سقف الكهف الكبير ، كالنجف المنير ! وأخرى مماثلة أشبه بالخوازيق تبرز من الأرض لترتفع فى اتجاه السقف . كان

المنظر فريداً لم يروا له مثيلاً فى حياتهم . أما «عامر» فكان يعلم ما هو ! فقد قرأ عنه وشاهد صوره فى الكتب والمجلات العلمية . ولكن كم كانت سعادته لأن يفاجأ به فى مثل هذا المكان القصىّ ، وأن يراه أخيراً رأى العين !

صاحت «عالية» فى فرح : أهذا هو الكنز ؟؟.. فاستغرق «عامر» فى الضحك وأجابها : لا . . إن ما يتدلّى من السقف يقال له « «ستالكتيت» ، وما يرتفع إلى السقف «ستالجميت» . وهى من الحجر الجيرى . وأضاف «عارف» : هذا صحيح . . أتذكّر أنى قرأت عنها . . ياله من منظر رائع . . وكأننا فى حلم جميل !

وكانت «زاهية» منبهرة مثلهم بالمنظر الخلاّب ، وقد حاولت أن تقلّد بصوتها هذه الأسماء الصعبة النطق بعد أن سمعتها . . ولكنها أخفقت !

قالت «**عالية**» : وكيف تنبت هذه الأشكال من السقف والأرض ؟

فأجابها «عامر» : إنها لا تنبت ! لأنّه لا حياة فيها . . بل هى تتكوّن ! فالماء يتسرّب من خلال الصخور ، وترسب ما تحتويه من ذرّات الكلس والجير على مرّ المئات بل الآلاف



من السنين ، لتتدلّى من السقف ، وتأخذ هذه الأشكال العجيبة . وهى المعروفة باسم « ستالكتيت » . أمّا قطرات الماء التى تتساقط منها على الأرض نقطة نقطة ، فهى تكوّن الـ « ستالجميت » ، التى ترتفع ببطء حتى يلتقيا ويكوّنا عموداً متصلاً .

فسألته « عالية » باهتمام شديد : وكم من الوقت تستغرق هذه العملية لتكوّن هذا العمود الكبير مثلاً . . فأجابها : الملايين من السنين ! ويمكن للعلماء أن يقدّروا عمر الكهف من أطوال هذه الأعمدة ! .

أما « سمارة » فظلّ طول الوقت صامتاً ، فهو لم يقرأ أو يسمع عن مثل هذه الظاهرة الطبيعية النادرة . وهو دخل الكثير من الكهوف فى مرسى مطروح مسقط رأسه ، ولكنه لم يشاهد قطّ مثل هذه الغابة من التماثيل والأشجار البيضاء ! إنها أجمل فى نظره من كهف علاء الدين الذى سمع عنه فى الأقاصيص !

تابعوا السير من خلال الأعمدة البيضاء البرّاقة ، وكأنهم يخترقون غابة سحريّة ، إلى أن وصلوا نهاية الكهف . فقال « عامر » : لا يمكن أن يكون الكنز هنا ! لنتابع السير من هذه الفتحة . وكانت هذه الفتحة تشبه بوّابة مقوّسة ، مرّوا من

تحتها ليجدوا أنفسهم فى كهف مظلم واسع .

انجلى هذا الكهف عن منظر عجيب ، جعلهم ينسون كهف الغابة السحرية !

رأوا ما يشبه النجوم الدقيقة وهى تتحرّك وتطير فى أرجاء الكهف ، وتضئ المكان بنور خافت ، سماوىّ وأخضر . أهو ماس أم فيروز يتلألأ على الجدران ؟ أيكون هذا هو الكنز ؟

همست « عالية » : ما هذا ؟ إن الكهف يموج بالحركة ! أهى نجوم حيّة ؟ أم هى نجوم فى دور التكوين ؟.

لازمهم الصمت طويلاً . فإن أحداً منهم لا يعلم ما هذا ! وأخيراً قال « عامر » ! يبدو أنها نوع من الحشرات المضيئة ! لقد قرأت عنها ويسمونها أحياناً « سراج الليل » . قال هذا وصوّب البطارية فى أرجاء الكهف ، فاختفت الأضواء الزرقاء والخضراء . إنها لا تظهر إلاّ فى الظلام !

فصاحت « عالية » : لقد اختفت النجوم المضيئة . . أطفئ النور يا « عامر » لنراها ثانية . . كم أودّ أن أحصل على القليل منها لتضئ لى غرفة نومى !

وقال « عارف » : لقد اكتشفنا كهفاً متكلماً ، وكهف الغابة البيضاء السحرية ، وكهف النجوم المضيئة السماوية . . .

ولم يبق أمامنا الآن إلا اكتشاف كهف الكنز ! ! .

أطفأ « عامر » بطاريته ، واخترقوا كهف النجوم فى الظلام ، إلى أن وصلوا إلى عدد من الدرجات الصخرية ، هبطوا منها ليجدوا أكبر مفاجأة كانوا يحلمون بها ! .

رأوا باباً ضخماً متيناً ، يقف فى طريقهم كالسدّ ! لا بدّ أن يداً قد وضعت هذا الباب فى هذا المكان . فهو بلا شكّ لم يتكوّن كالغابة السحرية على مرّ الدهور . . إنه من الخشب وليس من الحجر الجيرى ! أيكون هذا الباب وضع هنا ليسدّ كهف الكنز ؟ وليحرسه من أيدى العابثين أمثالهم ! ! . .

كانت « عالية » تفحص الباب بنظراتها المدقّقة ، وقالت : هذا الباب ليس له مقبض ! فكيف نفتحه ؟ هل نادى « افتح ياسمسم ! » . فأخذ « سمارة » يركله بقدمه لعلّه ينفتح كما فعل مع باب الكوخ ، ولكنه استعصى عليه . . فقد كان الباب من خشب الأرْو المتين ، تبرز منه مسامير كبيرة ذات رءوس ضخمة ، وله مزلاجان من الحديد .

قالت « عالية » وهى تشير إلى مسمار معيّن : ألا ترون معى أن هذا المسمار بالذات مصقول لا يعلوه الصدأ ! صوّب « عامر » بطاريته نحوه ، فوجده أكبر حجماً من باقى المسامير ، كما أن

له سطحاً لامعاً ، كأن يداً قد اعتادت على استعماله !

ضغط « عامر » على المسمار ، ثم دقّ عليه بعنف ، ولكن دون جدوى ؟! إلى أن هداه التفكير إلى إدارته يميناً ، فدار المسمار فى يده بسهولة ، ثم دفع الباب فانفتح !

انفرج الباب عن كهف واسع مظلم ، لم يتبيّنوا ما بداخله أول الأمر . وما إن أدار « عامر » ضوء بطاريته فى أرجاء الكهف ، حتى بادرت « عالية » بالإمساك بذراع أخيها « عامر » لتحتمى فيه ، وصرخت : يا إلهى ! إن الكهف يكتظّ بالناس ! ! . .

سرت القشعريرة فى أجسامهم ، وتجمدت أطرافهم ، والتصقوا ببعضهم ، حتى صاروا كشخص واحد ! .

وكان الضوء الخافت المنبعث فى أرجاء الكهف ، يزيد من هيبة المنظر ورهبته !

كان الكهف يمتلئ بعشرات الأشخاص ، رجالاً ونساءً ، بعضهم واقف ، وبعضهم جالس ، والآخر نائم ! . وتنتشر بينهم الحيوانات على اختلاف أنواعها ، ميّزوا من بينها الكبش والقرد والتمساح والعجل والصقر وغير ذلك !

كان كل ما فى الكهف جامداً لا يتحرك ، لا تصدر عنهم حركة أو لفظ أو إشارة !

وبعد أن بدأت الحياة تدبّ فى أطراف المغامرين ، همست « عالية » بصوت لا يكاد يسمع : أنا خائفة ! هيّا بنا نغادر هذا المكان المرعب المخيف . . إنهم ليسوا أحياء ! ولكن « عامر » تشجّع وخطى خطوة إلى الأمام ، ووقف أمام أحد الرجال يفحصه بدقّة . وبعد أن هدأت نفسه قليلاً ، صاح عليهم : ادخلوا . . لا تخشوا شيئاً . . إنها تماثيل !

تقدم « عارف » و « عالية » و « سمارة » إلى الأمام فى بطء ، وأخذ الجميع يتجولون فى الكهف بين التماثيل المنتشرة ، وكانوا يلزمون الصمت التام ، لا خوفاً ولا وجلاً ، بل من روعة ما رأوا ، واحتراماً لتراث الأجداد والأسلاف !

لقد كانوا فى متحف للآثار المصرية القديمة . كل قطعة واحدة منها تساوى كنزاً بأسره !

كانت بعض التماثيل حجرية ، وبعضها خشبية . وكانت هناك أيضاً توابيت حجرية ، وأخرى خشبية ذات غطاء ملوّن بأزهى الألوان والكتابات الهيروغليفية ، وصور الحيوانات والطيور . وهنا وهناك تماثيل صغيرة لحيوانات مختلفة .

وكان أول من تحدث منهم هى « عالية » ، فهمست « لعامر » وسألته : وما هذا ! لا تقل لى إنه تمثال حجرى ! . .

فأجابها والدهشة تتملّكه : بل هى مومياء محنّطة لرجل . . ربما لملك أو أمير ! وهذا الذى بجوار المومياء هو تمساح محنّط ، لا بدّ أنه مسروق من مقبرة التماسيح فى منفلوط ، وهذه مومياء قرد ، مسروقة من مقبرة القرود بطيبة . وبمناسبة القرود يا « عالية » ، من الطريف أن من عادتها الصياح عند مطلع الشمس وغروبها ، فكان قدماء المصريين يعتقدون أنها إنما تصيح ترحيباً بالإله الأزلىّ « رع » الذى خُلق البشر من دموعه ! ! . .

وقال « **عارف** » : هذه الآثار مسروقة ، هرّبتها وجمعتها هنا عصابة خطيرة من المجرمين العتاة . وهى آثار لا تقدّر بمال . فنحن وقعنا على كشف هام ، لا يقلّ أهمية عن كشف اللورد « كارنارفون » و « هوارد كارتر » لمقبرة توت عنخ آمون !

كان « عامر » يشعر بالسعادة وهو يجوس بين هذه الآثار . فهو يعرف عنها الكثير ، لولعه الشديد بقراءة كتب الآثار المصرية القديمة . إلى أن لمح مدخلاً فى ركن من أركان الكهف . فنادى عليهم ودخلوا منه ، فإذا بهم فى كهف صغير ، يمتلئ بالصناديق الخشبية . وكان بعض هذه الصناديق يحتوى على لفافات وأفرخ كبيرة من الورق القديم الذى كاد البلى

يزيل آثاره !

قال « عامر » : هذه ثروة كبيرة من أوراق البَرْدى الثمين !

فسألته « عالية » : وما هو البَردى ؟ فأجابها : هو الورق المصنوع من سيقان نبات البَردى ، الذى كان ينمو بكثرة على ضفاف النيل . وهو عبارة عن ساق طويلة ملساء تشبه البوص ، وتنمو من ثلاث إلى عشر أقدام . وتحمل الساق فى أعلاها فروعاً دقيقة كالشعر الخشن ، ذات أوراق صغيرة ، وجذور قوية . وقد استعمل قدماء المصريين هذا الورق منذ حوالى ألفى عام قبل الميلاد . وظلّ هذا الورق لألفى وخمسمائة عام هو الوسيلة الوحيدة التى عرفها الإنسان للكتابة . فقاطعته « عالية » قائلة : ولكن كيف كانوا يصنعون الورق من ساق هذا النبات العجيب ؟

فأجابها : اتّبع المصريون فى صناعته طريقة بسيطة جداً ، فكانوا يقشّرون السيقان ، ويأخذون منها اللّب ويفرطحونه إلى شرائط مستطيلة ، يوضع الشريط منها بجوار الآخر ، ثم يضعون فوقها شرائط مماثلة مستعرضة ، ثم تغرّى بدقيق القمح ، أو بماء النيل المملوء بالغِرْيَن أى الطمى . ثم تلقّ حتى تصبح مسطّحة ، وتجفّف فى الشمس !.

أخذ « عامر » يخرج بعض اللفائف والأوراق من صناديقها ،

ويتحسّسها بأنامله برفق وعناية ، كأنه يتحسّس فراشة دقيقة . وكان الثلاثة يقفون حوله ، وعيونهم تأكل الورق من فرط الإعجاب بما فيه من رسوم ملونة وكتابات ورموز !

بدأ « عامر » يقلب فى الأفرخ ورقة ورقة ، وقد نسى العالم حوله ، و« عالية » تنهال عليه بأسئلتها التى لا تنضب . وكانت تستمهله ليشرح ما خفى عليهم من صور ورموز ، وكان هو يتولّى تفسير ما يعرفه منها .

فهذه الصورة لابن آوى . . إله التحنيط . . وهذا هو الكبش « خنوم » . . إله الشلاّلات التى كان المصريون يعتقدون أن النيل ينبع منها . وهذه المرأة التى برأس لبؤة . . هى « سخمت » إلهة القوة والحرب . وهذا هو « بتاح » رب الحرف والصناعات . وهذا هو « أبوفيس » الثعبان الأرقط ، والعدّو اللّدود الذى يعترض الشمس عند سياحتها إلى عالم الآخرة وبالعكس . أما هذه فهى « إيزيس » سيدة السماء الجميلة !

ووقفت « عالية » عند ورقة وصاحت : هذا هو « سيد قشطة » ، فقال لها « عامر » : هذه هى فرس البحر « تاورت » إلهة الولادة !. وعندما رأت صورة لطائر أخضر صاحت :

هل هذه ببغاء ؟ إنها تشبه « زاهية » ! فأجابها : هذه هى العنقاء ، أو الفونيكس « بنّو » وتمثّل الروح عند قدماء المصريين .

ثم رأت صورة لشاب تتدلّى من رأسه خصلة من الشعر كالضفيرة ، على جانب واحد من صدغه ، فسألته عن معنى ذلك ، فأجابها : هذه الخصلة تعنى أن صاحبها أمير ملكى !

وهكذا قضى « عامر » ساعة من الزمن فى الشرح والتفسير ، حتى تعب أخيراً من « عالية » وأسئلتها .

ثم فتح صندوقاً صغيراً لا يلفت النظر ، فوجده يمتلئ حتى حافته بالعملات المعدنية القديمة : الإغريقية : والرومانية والبطلمية والإسلامية . وصندوقاً آخراً يمتلئ بالجعارين . . رمز الخَلْق الجديد عند قدماء المصريين ! ياله من كنز لا يقدر بثمن !

قال « عامر » : لا شكّ فى أن عصابة الريّس « مجاهد » كانت تجدّ وراء البحث عن هذه الكنوز . وأنها أتت بالصناديق الخشبية الكبيرة لتعبئتها فيها بعناية ، ثم حملها بالطائرات إلى جهة مجهولة .

وقال « عارف » : إنى ابتدأت أيقن الآن أننا نوجد فى وادٍ

قريب . يقع بين وادى الملوك وبين شاطئ البحر الأحمر . وهو مكان مثالى لمهربى الآثار ولصوص المقابر . فهو يتوسطَ مواقع السرقة ، ومواقع التهريب على البحر الأحمر ! كما أنى لا أشك فى أن « مجاهد » يرأس عصابة دولية لسرقة وتهريب الآثار ، أو هو عميلها فى مصر ! ! فأجابه « عامر » : هذا محتمل جداً ، وسوف نكشف النقاب عنه قريباً .

وفى ركن من أركان كهف البرديات والعملات والجعارين ، وجدوا مدخلاً صغيراً ينبعث منه الضوء ، فدخلوا منه وإذا هم وسط كهف صغير أشبه بالحجرة . وكان ضوء الشمس يسطع فيه من خلال ثغرة واسعة فى حائط الكهف ، تطلّ على الخارج كالنافذة ! وكانت الغرفة مؤثثة بأريكة ومائدة منهالكة ، وبعض المقاعد ، وبكليم أسيوطى مزيّن بالرسوم الفولكلورية الصعيدية الجميلة وكان هذا الكليم معلقاً على الحائط الصخرى ! ! .

قالت « عالية » وهى تجلس على الأريكة : هذه الحجرة هى « استراحة » اللصوص والمهربين ! كم كان بودّنا أن يكون خالنا « ممدوح » معنا فى هذه المغامرة !

نقلوا طعامهم وما حملوه من أمتعة خفيفة إلى حجرة

« الاستراحة » . وأخفوها تحت الأريكة ، ثم جلسوا يتشاورون .
إنهم اكتشفوا الكهف ، ولكن ما الفائدة وهم الآن سجناء الكنز ! لا يعلم بوجودهم أو يشعر بهم مخلوق ، واختفت آثارهم عن العالم الخارجي . وماذا يفعلون بالكنز وقد قارب طعامهم على النفاد ! أيأكلون التماثيل وأوراق البردى والحيوانات المحنطة والجعارين والمومياوات ! !

وبينما هم يحاولون عبثاً إيجاد مخرج لورطتهم ، إذ يصل إلى أسماعهم صوت أزيز طائرة ! فهرعوا إلى الثغرة يطلّون منها إنها طائرة « مجاهد » ما فى ذلك شك !

فقال « عامر » : لقد عاد الرجال بالطائرة ! لا بدّ أنهم انتزعوا السّر من « زيدان » المسكين ! وعرفوا منه مكان الكنز الحقيقي . يجب علينا الحذر من الآن فصاعداً ! ! ..

الكمين


عارف

عقد المغامرون مجلساً فيما بينهم ، أسموه « مجلس الحرب» وصلوا فيه إلى النتيجة التالية : إن العصابة عرفت مكان الكنز ، وإنهم لا محالة فى طريقهم الآن إليه ، وإنهم لن يتمكنوا بأية حال من إيقاف العصابة عن الاستيلاء على ما يريدون . . فهم رجال شرسون أشدّاء ! .

وكانت المناقشة تدور بينهم عما إذا كان من الأفضل لهم العودة إلى الكهف الصغير بجوار الشلاّل والاحتماء فيه ، فلا أحدٌ – حتى الآن – يعرف مكانه غيرهم . أم الانتظار فى أحد كهوف الكنز الكثيرة ، وليكن مثلاً كهف الغابة البيضاء السحرية الواسع ، إذ يسهل عليهم الاختفاء وراء الأعمدة الحجرية !

اتفق رأيهم فى النهاية على الانتظار حيث هم ، ومتابعة ما سوف تتمخَّض عنه الحال . كما قرروا أن يتناوب « عامر » و « عارف » و « سمارة » الحراسة كل ساعة خارج فتحة الكهف الخارجية .

كان الظلام قد حلّ ، فناموا ليلتهم فى الاستراحة . إذ من غير المعقول أن يبحث « مجاهد » وعصابته عن الكنز فى بهيم الليل . وأن يبدأ « عامر » أولى نوبات الحراسة فى الصباح الباكر عند بزوغ الشمس ، ثم يتبعه « عارف » « فسمارة » .

كان « عامر » يجلس على الشرفة الخارجية مع مطلع الشمس ، وفى يده منظاره يدور به فى أرجاء المكان القفر . فكان لا يرى سوى الجبال والتلال والصخور والأودية والأشجار . ظلّ هكذا حتى قاربت نوبته على النهاية ، وكان يصوّب المنظار نحو شجيرة كثيفة فى أسفل الجبل ، خيّل إليه أنها كانت تهتز ! من الجائز أنها تهتزّ بفعل الهواء ، أو أنها تأوى أرنباً أو ابن آوى أو ماعزاً جبلياً !

ولكنه أصيب بصدمة كادت تفقده توازنه ، وتطيح به من أعلى الشرفة ! تحجّرت يداه على المنظار ، فقد كان « مجاهد » يحتمى بالشجرة ، ويتطلّع إليه فى نفس الوقت بمنظاره ،

حتى تلاقت النظرات . . من خلال العدسات !

إذن لقد جاء « مجاهد » وراء الكنز ! أجاء هنا مصادفة . أم أنه حصل على الخريطة من العجوز « زيدان » ؟ وماذا يهمّ الآن وقد اكتشف أخيراً مكان الكنز !

أسرع « عامر » فى الدخول لتحذير الآخرين ، وأخبرهم بوصول « مجاهد » واكتشافه الكهف ، وأشار عليهم بالاختباء فى كهف الغابة السحرية الخارجى ، حيث يسهل عليهم الهرب إذا ما دخل « مجاهد » وعصابته كهف الآثار .

ولكن « عالية » اقترحت عليهم أن ينتظروه فى كهف الكنز المظلم وسط التماثيل . ويمكنهم أيضاً أن يختبئوا وراءها ، أو أن يقفوا جامدين بلا حراك ، فقد يظنهم « مجاهد » من بين التماثيل الحقيقية ! ! فوافقوا على هذا الاقتراح المثير لما فيه من طابع المغامرة ، ودخلوا كهف الكنز ، ووقفوا بلا حراك ، وقد اتخذ كل منهم وضعاً فرعونياً معيّناً ! !

وفجأة همس لهم « عامر » قائلاً : كان يجدر بنا أن نقفل باب الكنز الخشبى علينا ، « فمجاهد » لن يتمكّن من التوصّل إلى طريقة فتحة ! فقال « عارف » : الأفضل أن نتركه مفتوحاً ، إذ لو أغلق « مجاهد » الباب علينا بالمزلاجين



جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوب مسدسه إلى التماثيل بيد مرتجفة . وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجش : ارفعوا الأيدى ! . .

الحديديين من الخارج لسجننا هنا إلى الأبد !

أما « زاهية » فقد اختارت تمثالاً للإله « حرمخيس » وله رأس صقر ، ربما ظنته من أبناء عمومتها ، ووقفت على كتفه صامتة ، كأنما هى تدرك رهبة الموقف !

وبعد قليل سمعوا صوت صرير الباب الخشبى ، وشبح « مجاهد » يطلّ بحذر ، ووميض ماسورة مسدّسه يلمع فى الظلام !

جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوّب مسدسه إلى التماثيل بيد مرتجفة ، وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجشّ : ارفعوا الأيدى !!..

كان المغامرون يكتمون الضحكات بالرغم من الخطر المحدق بهم — وشرّ البليّة ما يضحك ! — فقد خمّنوا أنه اعتقد ، كما اعتقدوا هم من قبل ، أن الكهف يعجّ بالأحياء !

وعلى حين فجأة رنّ صوت « زاهية » فى أرجاء الكهف وهى تقول : « زاهية » مسكينة ! فارتبك « مجاهد » وصرخ يقول : من هناك !.. ثم تقدّم خطوة إلى الأمام فاكتشف حقيقة التماثيل . فضحك وقال كأنه يعاتب نفسه على غبائه : أنا غبى !.. وهنا صرخت « زاهية » : غبى ! غبى !..

فصاح « مجاهد » وهو يشهر مسدسه : من هناك ! لا بدّ أنه أحد الأطفال ! انتظروا حتى أضع يدى عليكم ياملاعين !

قال هذا ثم هرول خارجاً من الكهف ، وقفل الباب الخشبي وراءه ، وأحكم غلقه بالمزلاجين الحديديين !!..

صمتوا طويلاً والذعر يتملّكهم ، إلى أن نطق « عامر » وقال : أسمعتم هذا ! نحن الآن سجناء ! فالباب لن يفتح من الداخل . لقد كنت مُصيباً عندما اقترحت أن نختفى فى الكهف الخارجى . والآن ما رأيك يا « عالية » فى أفكارك النيّرة !!..

صمتت « عالية » وهى تشعر فى قرارة نفسها بالكسوف والحرج ، فهى قد تسبّبت باقتراحها فى هذه المصيبة ! وقال « عارف » : سنبقى هنا فى مكاننا حتى يطلق « مجاهد » سراحنا .. هذا إذا فعل !.. وسنرى المجرمين بأعيننا وهم ينقلون الآثار قطعة قطعة ، يعبئونها فى الصناديق وينقلونها بالطائرات !

وقال « **سمارة** » : إنى أصبحت لا أميل إلى هذه المغامرة . لو كان فى وسعنا أن نفعل شيئاً لاختلف الأمر .. ولكننا عاجزون تماماً !

لم يكن أمامهم إلاّ الانتظار . فتوجّهوا إلى الاستراحة ،

جلسوا على المقاعد الخشبية صامتين مهمومين .

وبينما هم كذلك ، إذا بهم يسمعون صوت طائرة ، فذهب « عامر » إلى الثغرة المفتوحة ، وأطلّ منها وصاح فى دهشة : إنها طائرة صفراء اللون ! تتبعها من بعيد طائرة زرقاء ! إنهم يتسلّحون بالمزيد من الطائرات والرجال !

قال « **سمارة** » : والآن فلننتظر أن يحدث الكثير ..

وقالت « **عالية** » : ياللعار ! وسنقف أمامهم مكتوفى الأيدى !

وقال « **عامر** » : لو أمكننا فقط أن نتصل بخالنا « ممدوح » ..! ولكن كيف ؟ لا وسيلة أمامنا للخروج من هذا الكهف .. أو من هذا الوادى الملعون . فقال له « **سمارة** » : بل توجد وسيلة واحدة !.. فسأله « **عامر** » بدهشة : وما هى ؟ فأجابه « **سمارة** » : بالطائرة !!..

ظلّ « عامر » يفكّر طويلاً إلى أن قال : نعم .. هذا صحيح .. فالطائرة هى الوسيلة الوحيدة يا « سمارة » . لا شك أنها مغامرة كبيرة ومجازفة خطيرة .. ولكنى سأقدم عليها .

سادهم الصمت إلى أن قطعه « عارف » فقال : ما ذاتعنى ؟ إنك تجهل قيادة الطائرة !.. فأجابه « عامر » : إذا كنت أجهل قيادة الطائرة ، إلاّ أنه يمكننى أن أختبئ فى إحداها !!

فقالت له « عالية » وصوتها يتهدّج : أنا أعارض هذه الفكرة !
فماذا لو اكتشفوك وقبضوا عليك ! لا تتركنا يا « عامر » !
فطيّب « عامر » خاطرها وقال : هذه هى الوسيلة الوحيدة
أمامنا يا « عالية » . وستمكثين هنا مع « عارف » و « سمارة »
و « زاهية » ، حتّى أعود إليكم بالنجدة مع خالى « ممدوح » !

هذا كلام سهل . . . ولكن هل يمكن تحقيقه !..

قال « عارف » : ولو أن الفكرة جميلة ، إلا أنها تبدو
مستحيلة التنفيذ ! كيف ستصل إلى الطائرة ونحن محبوسون
هنا يستحيل علينا الخروج ؟!

فقال « عامر » بعد تفكير عميق : عندى خطّة ! ستظلّون
أنتم فى مكانكم هنا فى انتظار وصول « مجاهد » وعصابته .
أما أنا فسأتحوّل إلى تمثال فرعونى فى متحف الآثار !!! وسوف
ينخدع الرجال فىّ كما انخدع فينا « مجاهد » من قبل . وسأنتهز
فرصة انهماك العصابة وأتسرّب إلى الخارج . وسأذهب توًّا
إلى الممرّ وأختبئ . داخل إحدى الطائرات انتظاراً لإقلاعها .
ألم ننجح فى أن نختبئ كلّنا فى طائرة من قبل ؟ أما ما سوف
يحدث بعد ذلك فسأتركه للظروف ، ولكنى آمل خيراً . فليس
أمامنا من وسيلة غير ذلك . . وهى آخر خيط من أمل تبقّى لنا . .

توجّهوا جميعاً إلى كهف الآثار ، واختاروا له غطاء تابوت
ملوّن يرتكز واقفاً إلى حائط الكهف ، بجوار الباب الخشبى ،
واختبأ وراءه وكأنه مومياء ! فضحكت « عالية » وهى تقول له :
لن يعثر أحد عليك هنا ، حتّى لوكان مدير مصلحة الآثار نفسه

قال « عامر » : والآن ادخلوا ولا تقلقوا علىّ ، وسأعود
إليكم قريباً بالنجدة مع خالنا « ممدوح » .

* * *

ظلّ « عامر » يربض فى مكانه وراء غطاء التابوت الملون
ما يقرب من الساعة ، إلى أن سمع صوت المزلاجين وهما
ينفتحان ، ووقع أقدام كثيرة تدخل الكهف ، وأصوات تتكلم
بنبرات ملؤها الدهشة والتعجب والفرحة . تعرّف من بين هذه
الأصوات على صوت « مجاهد » و « معروف » فقط أما صوت
« حليمو » فلم يكن من بينها ، إذ كان ما زال مقيداً بالحبال
فى جذع الشجرة ! كيف حاله ياترى ؟ هل مازال مغشيًّا
عليه ؟ أم أنه يموت الآن جوعاً وعطشاً ؟

ثم رأى الضوء فجأة وهو يغمر الكهف ، فأدرك أن العصابة
قد استعدّت بكشافات قويّة . ثم سمع صوت الأقدام وهى
تغادر كهف التماثيل إلى كهف البرديّات والجعارين . وعندما

سكت الصوت تماماً وتأكد من خلوّ المكان ، أطلّ برأسه خلسة فوجد نفسه وحيداً ، فأسرع فى الخروج وهو يعدو بأقصى سرعته !

ولما وصل إلى الكوخ لم يجد أثراً لمخلوق ، فأدرك أن العصابة بكامل أفرادها فى الكهف ، ولا غرابة فى ذلك ، فهم فى حاجة إلى كل يد عاملة لتنقل الكنوز الثقيلة ! وشاهد الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ، وهى تجثم متجاورة على الممرّ .

كان لديه متّسع من الوقت للبحث فى الكوخ المفتوح عن دليل ضد العصابة ، ويكشف عن أغراضها ، ويفضح أفرادها . ثم العثور بعد ذلك على مكان مناسب فى طائرة من الطائرات الثلاث يختفى فيه ، فالعصابة لن تقطع المسافة الطويلة بأحمالها الثقيلة فى أقلّ من ساعتين أو ثلاث ساعات !

دخل الكوخ ، فرأى بعض الملابس على السرير ، وسترة معلّقة على مسمار فى الحائط . ولما بحث فى جيوبها عثر على مفكرة صغيرة أخذ يقلّب صفحاتها . كانت تحوى أرقاماً وجُملاً لم يفقه منها شيئاً . فأدرك أنها مكتوبة بالشّفرة ! . . لا بأس . . فهى ليست من مهامّه . . بل هى من اختصاص

خاله « ممدوح » ، عليه هو أن يفكّ ألغازها ورموزها ! فدسّ المفكّرة فى جيبه وخرج مسرعاً إلى طائرة الريّس « مجاهد » البيضاء ، ولما عاينها وجد فى مؤخّرتها بعض الملابس الثقيلة والبطاطين . فقرّر أن يختفى تحتها بعيداً عن عيونهم ، حتى يصل إلى . . . . إلى أين ؟؟.. هذا لا يهمّ ما دام خارج الوادى الرهيب ! وكان يشعر بالتعب والإرهاق ، فدسّ نفسه تحت كومة الملابس وراح فى النوم .

* * *

أما « عارف » و « سمارة » و « عالية » ، فقد ظلّوا فى غرفة « الاستراحة » ، إلى أن دخل عليهم رجال العصابة ، وكانوا ستة رجال .

كانت مفاجأة مذهلة لرجال العصابة أن يجدوهم فى مثل هذا المكان . فأخذوا فى استجوابهم ونهرهم وتهديدهم فى قسوة متناهية ، ولكنهم لزموا الصمت المطبق ، على حين كانت « زاهية » تختفى تحت الأريكة ! وأخيراً قال « مجاهد » : على كل حال لا خوف علينا من هؤلاء الأطفال !! ما دمنا سنغلق عليهم باب الكهف . والآن هيّا بنا ننقل دفعة من الكنز إلى الطائرات فوقتنا ثمين ! وعندما نرجع ثانية سيكون لنا معهم

حساب عسير !!.

وعندما غادر رجال العصابة الكهف بعد أن أحكموا غلقه عليهم ، هدأت أعصابهم ، وقال « عارف » : وماذا سنفعل الآن ؟..

لا شيء طبعاً !.. ماذا يمكنهم أن يفعلوه ؟ يالها من ورطة !.. ليس أمامهم إلاّ انتظار وصول « عامر » !.. ولكن ماذا يفعل « عامر » الآن ؟!. هل تمكّن من الفرار أم إنه ما زال مختفياً وراء التابوت ؟ أو ربما فى الطائرة !. أو ربما اكتشفته العصابة وهو الآن بين أيديهم !

وكانت « عالية » تستند على الأريكة وهى تتأمل الكليم الأسيوطى برسومه الفولكلوريّة الرائعة . وكانت تعجب لهذا الكليم المعلّق على الحائط . أمَا كان الأجدر وضعه على الأرض الصخرية العارية الباردة !!. فقالت « لعارف » و « سمارة » : ساعدانى لننزع هذا الكليم ونبسطه على الأرض .

كشفت إزاحة الكليم عن مفاجأة أذهلتهم ! فقد كان يخفى وراءه ثغرة فى الحائط الصخرى ، يبلغ قطرها حوالى نصف متر تقريباً . .

وقفوا أمام الفتحة الصغيرة وكأنها طاقة القدر فُتحت لهم !

إلى أين ستقودهم هذه الثغرة ؟ إلى الخلاص أم إلى طريق مسدود !

صوّب « عارف » البطارية داخلها فبدّد ضوؤها الظلام ، ورأى طريقاً ضيّقاً لا يحدّ عمقه البصر ! فقال « سمارة » : نحن نجهل ما ينتظرنا فى هذه المفازة ، ولكنها مهما كانت فهى أرحم لنا من هذا السجن وآمن . . تعالوا نجرّب حظنا ، وسنسدل الكليم فى مكانه كما كان ، لنخفى أثرنا عن العصابة عند عودتها .

دخلوا الواحد وراء الآخر ، تسبقهم « زاهية » تستكشف لهم الطريق ! وساروا نصف ساعة فى سراديب ودهاليز ضيّقة متعرّجة ، نحتتها الطبيعة فى الصخر الأصمّ ، حتى كاد اليأس يصيبهم . وبغتة دخلوا كهفاً واسعاً ، وسمعوا صوت « زاهية » يأتيهم وهى تغنى وتقهقه ، وتقلّد مواء القط « مرجان » وصفير القطار . وكان صدى صوتها يتردّد فى أرجاء الكهف .

هذا الصدى مألوف لديهم !.. إنه صدى الكهف المتكلّم !.

فصاحت « عالية » بأعلى صوتها : الكهف المتكلّم . . فسمعوا صدى صوتها يتردّد : المتكلّم !.. المتكلّم !.. المتكلّم !..

* * *

ما كادوا يدخلون مأواهم فى الكهف الصغير عن طريق الكهف المتكلّم ، حتى سمعوا الأزيز المعهود ، وشاهدوا الطائرات الثلاث وهى تحلّق فوق رءوسهم .

قالت « **عالية** » : إنهم يحملون الكنوز إلى مكان مجهول . . وسيعودون لنقل ما بقى فى الكهف من آثار . ولكن هل « عامر » معهم ؟؟ فأجابها « سمارة » : إن ما نعرفه عن « عامر » يؤكّد لنا أنه فى إحدى هذه الطائرات !

ناموا وهم يشعرون بالطمأنينة ، فقد نجوا من شر « مجاهد » وعصابته ، وعلى أمل عودة « عامر » قريباً .

وفى الصباح استيقظوا كالعادة على صوت أزيز الطائرات ! أهو « عامر » وصل لإنقاذهم ؟ أم هو « مجاهد » وعصابته ؟

إنهم لا يعتقدون أنه « عامر » . فالوقت لم يتسع أمامه للبحث عن خالهم « ممدوح » .

قالت « **عالية** » : كان بودّى أن أرى وجه « مجاهد » حينما ترتسم عليه الدهشة والمفاجأة وهو يدخل الكهف ولا يجدنا !

وكان « سمارة » يفكّر فى ركن من الكهف الصغير ، وقال لهم : سوف تجتاز العصابة الطريق أمامنا بعد قليل وهى فى سبيلها إلى الكنز . سنراقبها بحذر ما أمكننا ، إلى أن تبتعد ،

ثم سأتعقّب أنا أثرها حتى تدخل الكهف ! !.. ما رأيكم فى ذلك ؟

فسأله « عارف » : وما جدوى هذا التعب !.. فأجابه « سمارة » وهو يضحك : وعندما أتأكد أنهم دخلوا جميعاً كهف الكنز ، سأتسلّل وراءهم ، وأقفل عليهم الباب الخشبى بالمزلاج ! !..

فصاحت « عالية » وهى تتهلّل من الفرح : وسنسجنهم كما سجنونا ! يالها من فكرة بارعة !

وصاح « **عارف** » : وأخيراً . . لقد وقعت العصابة فى المصيدة !.



أما « عامر » فقد استيقظ فجأة على صوت المراوح وهى تدور ، والطائرة وهى تعلو فى الجو . لم يكن يجرؤ على الحركة ، وأية إشارة منه قد تدلّ على مخبئه .



العقيد « ممدوح »

كاد الحر يخنقه وهو يقبع تحت الملابس والبطاطين الثقيلة . ولكن العذاب يهون فى سبيل الخلاص .

وعندما حطّت الطائرة على الأرض ، نظر من فجوة صغيرة فى مخبئه ، فرأى « مجاهد » و « معروف » وهما يغادران الطائرة ، يحملان بينهما صندوقاً صغيراً ، تعرّف عليه توًّا ، فهو صندوق العملات المعدنية الثمينة .

وكان « عامر » قلقاً فقد يتطلع أحدهما وراءه ، أو يرجع ليأخذ شيئاً من كومة الملابس . فتفشل المخامرة .

كان ضوء الفجر يلوح فى الأفق عندما نظر « عامر » من نافذة الطائرة . رأى له فاً من الرجال الأشداء يرحّبون « بمجاهد » و « معروف » ، ثم يتوجّهون جميعاً صوب كوخ صغير بعيد . وكانت الطائرة تقف فى سهل منبسط على الرمال اليابسة . وكانت الأضواء الخافتة القليلة تتناثر فى الصحراء . كما رأى عن بُعد عدداً من سيارات النقل الضخمة تقف فى الانتظار !

انتقل « عامر » إلى الجانب الآخر من الطائرة ونظر من النافذة ، ففوجئ بما جعل قلبه يقفز من بين جنبيه من الفرح . إنه ماء البحر يلوح بعيداً وهو يتلألأ تحت ضوء الفجر !.. أهو ماء المحيط ! أو البحر الأبيض أو الأحمر ! أهى بحيرة المنزلة أو البرلس أو البردويل فى الشمال ، أو قارون فى الفيوم ؟ أو قد تكون بحيرة تانا فى الحبشة . . الله أعلم !!..

مهما يكن ، هذه هى ذى الفرصة سنحت أمامه .

خرج من باب الطائرة وهو يتلصّص ، فوجد المكان خالياً . فأخذ يعدو نحو البحر ، وكأنه فى مسابقة للمائة متر عدواً ! وفى الاتجاه المضاد الذى سلكه « مجاهد » .

توقّف عن العدو وهو يلهث بعد أن ضمن السلامة وأمِن من المطاردة . وسار على مهل لنصف ساعة ، حتى وصل إلى

طريق أسفلتىّ جميل يمتد بمحاذاة الشاطئ المتعرّج .

وقف وحيداً على حافة الطريق العام وهو يتلفّت حوله كالتائه ! إنه لا يدرى أين هو ! على كل حال لا يهمّ الآن أين هو ! المهمّ أنه خرج بسلام من الوادى الرهيب .

لاحت له فى الأفق الأضواء الكاشفة لسيارة تنهب الأرض ، وكانت تقترب منه رويداً وهى تحمل له معها الأمل .

كانت سيارة « جيب » صفراء اللون . فأشار لها بالتوقّف فوقفت بحذائه ، وقرأ على لوحاتها المعدنية كلمة « سواحل » .

أخيراً ! الحمد لله إنه فى مصر ! وليس فى الحبشة !

كانت السيارة تحمل عدداً من الجنود ، وصاح فيه السائق بلهجة الآمر : قف ! من أنت ؟ فأجابه « عامر » : أين نحن ؟ فأجابه السائق وهو ينظر إليه بعين الشكّ : بالقرب من الغردقة ! ألا تعلم أين أنت !! وماذا تفعل هنا ؟ فقال « عامر » وقد هدأت أعصابه ، ودخلت الطمأنينة إلى نفسه : إنى أبحث عن خالى العقيد « ممدوح » قائد السواحل !..

وما كاد السائق يسمع منه ذلك حتى برقت عيناه من الدهشة والمفاجأة . وترجّل الجنود من السيارة وأحاطوا « بعامر » من كل جانب ، وقال السائق : أهو أنت !! وأين إخوتك ؟

إن قوّة السواحل بأسرها لا عمل لها إلا البحث عنكم ! والدوريّات تجوب المنطقة ليل نهار فى أثركم . . أين اختفيتم ؟؟..

فأجابه « عامر » : خذنى حالاً إلى العقيد « ممدوح » .

دخل « عامر » فجأة على خاله « ممدوح » فى مقر قيادته .

وما كاد يراه حتى هبّ واقفاً وقد ذهل من المفاجأة السّارة ، وصاح قائلاً : ماذا ! « عامر » ! أين كنتم ؟ هل أنتم بخير ؟ وأين « عارف » و « عالية » و « سمارة » ؟ فقال « عامر » : لقد أوقعتنا الظروف والصدف على الرغم منا وسط مغامرة غريبة .

ثم أخذ يقصّ على خاله ما حدث بالتفصيل ، إلى أن قال : على فكرة ! لقد عثرت على هذه المفكّرة .

تصفّح « ممدوح » المفكرة بعناية وقال : إننا نتعقّب هذه العصابة الدولية من المهربين منذ مدة طويلة . وهذه المفكّرة تحوى الشفرة التى يستعملونها ، وأسماء رجال العصابة وعناوينهم ، وسيكونون عما قريب فى أيدينا ، يسقطون كالثمرة الناضجة ! إن هذه المفكّرة لا تقدّر بثمن ! إنك تستحقّ وساماً يا « عامر » !..

ثم بدأ العقيد « ممدوح » فى اتصالات تليفونية عاجلة ، وفى إصدار الأوامر لرجاله ليكونوا على أهبة الاستعداد .

ثم قال « لعامر » : سيزوّدنا الجيش بطائرتى هليكوبتر

لمفاجأة العصابة فى الوادى . فقال له « عامر » : ولكنى لا أعرف الطريق إلى هذا الوادى !! فأجابه « ممدوح » : هو مبيّن فى هذه المفكّرة ، والطيارون المصريون يعرفون كل شبر فى هذه السلسلة من الجبال التى تمتد على طول الساحل حتى حدود السودان ! والمهمّ أن ننقذ « عارف » و « عالية » و « سمارة » أولاً . أمّا العصابة فسنقبض عليها فى النهاية حتماً . فنحن نعرف الآن كل شىء عنها ، والفضل للمفكّرة التى زوّدتنا بها !

قال « عامر » : لقد تركت « عارف » و « عالية » و « سمارة » و « زاهية » وهم سجناء فى الكهف . ولا ريب أن « مجاهد » قد عاد الآن إلى الوادى ، فهو يروح ويجىء فى حريّة وبلا توقّف . فيجب علينا الإسراع قبل أن يلحق بهم الأذى على أيدى العصابة

فقال « ممدوح » : سأطير مع رجالى بعد ساعتين ، وستبقى أنت هنا ، لأنى أتوقّع معركة عنيفة بالرشاشات مع العصابة ! فقاطعه « عامر » : ماذا تعنى ! لقد عاصرت المغامرة منذ بدايتها ، وتريدنى الآن أن أتخلّى عنها ، وأن تحرمنى من نهايتها !!. ومع ذلك « فعارف » و « عالية » و« سمارة » معكم وسط المعركة . ولا بدّ أن أشاركهم الخطر !

فضحك « ممدوح » وأجابه : كنت أداعبك . فكيف

أتركك هنا وحدك ؟ ستأتى معنا طبعاً !

* * *

هبطت الطائرتان عمودياً على الممر الضيّق ، وهما تحملان العقيد « ممدوح » و « عامر » ، وعشرة من جنود السواحل البواسل المسلحين بالمدافع الرشاشة !

وكانت الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ، تقف متجاورة وهى خالية من ركابها !

قال « عامر » لممدوح : لقد وصلت العصابة . فلنسرع ونفاجئها فى الكهف حيث لا مجال هناك لهرب واحد منهم ! وسنمر الآن على حجرتنا فى الكهف الصغير .

سارت القافلة العسكرية يقودها « عامر » إلى أن وصلت قرب الإسطبل ، حيث كان « خليمو » لا يزال فى مكانه ، مقيداً فى الشجرة ، وهو يكاد يشرف على الهلاك .

فوجئ الجميع بالمنظر الغريب ، وقال « ممدوح » : من هذا ؟ ومن قيّده هكذا ؟

أجابه « عامر » : هذا « حليمو » أحد أفراد العصابة ، قيّدته بنفسى فى الشجرة ، لندعه الآن كما هو وسنعود إليه فى طريق الرجوع لنحمله معنا !



قال العقيد « مملوح » : من هذا ؟ ومن قيده هكذا ؟

واصلوا السَّير إلى أن وصلوا إلى الكهف الصغير ، حيث كانت تنتظرهم المفاجأة الكبرى ، والتي لم تكن تخطر « لعامر » على بال !

كان « عارف » و « عالية » و « سمارة » و « زاهية » يستقبلونهم بالصياح والتهليل والفرح .

ذهل « عامر » من المفاجأة ، فقد تركهم سجناء فى كهف الكنز ، فإذا بهم الآن فى الكهف الصغير . فكيف أمكنهم الإفلات والخلاص ! يالهم من شياطين حقاً !

روى عليهم « عارف » قصة هربهم ، وكيف أن « سمارة » أغلق باب الكنز على العصابة . . . فالعصابة دخلت الآن كالفئران فى المصيدة !

* * *

استسلمت العصابة بدون أية مقاومة أمام الهجوم العنيف المباغت ، ووقعت فى يد العدالة لتلقى جزاءها العادل .

* * *

حلّقت الطائرات العمودية العسكرية فى الجو . وكان المغامرون ، و « زاهية » فى قفصها بين أحضان « سمارة » ، ينظرون تحتهم إلى الوادى العجيب للمرة الأخيرة !

فقال « **ممدوح** » : انظروا إلى الوادى جيداً ، فسوف تحتلّ أخباره الصفحات الأولى في جميع الصحف غداً : وادى الكنز !..

قال « **عامر** » : بل الوادى الرهيب !

صمت العقيد « ممدوح » طويلاً وهو يتطلّع إلى الأودية والجبال ثم قال فجأة : أتتذكّرون أننى قلت لكم قبل السفر إننى منهمك فى عملية سرّية خطيرة ، وإننى سأخبركم بتفاصيلها.

فقالت « **عالية** » بلهفة : نعم .. نتذكّر ذلك جيّداً .. ما هى هذه العملية ؟ وهل تمت ؟..

فأجابها « **ممدوح** » وهو ينظر إلى المغامرين بفخر وإعجاب : تمت والحمد لله بنجاح باهر . وأظنكم تعرفون تفاصيلها الآن أكثر منى .. هذه العملية هى تعقّب هذه العصابة بالذات والقبض عليها ، والعثور على كنوز الآثار الفرعونية . والآن تم القبض عليها بفضل مغامرتكم وشجاعتكم وإقدامكم .

(تمت)

٩٧٧-٠٢-٤



عامر عاليه عارف مرجان

لغز الوادى الرهيب

على أثر غلطة كبيرة وقع فيها المغامرون الثلاثة : « عامر » ، و « عارف » ، و « عالية » . ومعهم « سمارة » ، والببغاء « زاهية » الداهية ، وجدوا أنفسهم محاصرين وسط واد رهيب ، بجباله ودروبه ومغاوره وكهوفه السحريّة . وهم يقتفون أثّر أخطر عصابة دولية تبحث عن أثمن كنز فى العالم !

فهل تمكنوا من الإفلات من هذا الوادى الرهيب ، الذى لا مدخل له ولا مخرج ؟؟.. وهل قبضوا على أخطر عصابة دولية ؟؟ وهل اكتشفوا أثمن كنز فى العالم ؟؟

هذا ما ستجد له جواباً فى لغز الوادى الرهيب !



دارالمعارف